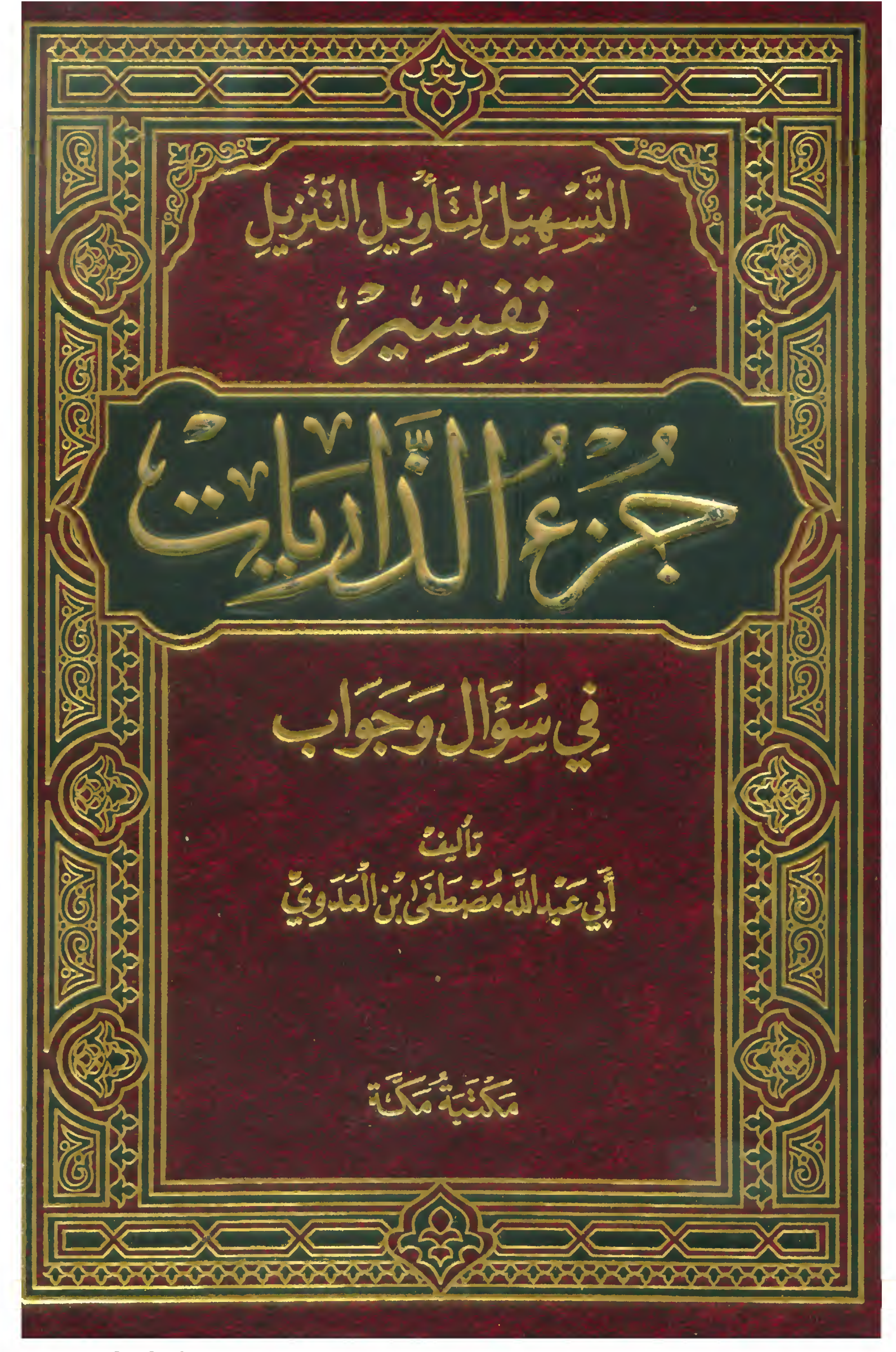

التسهيل لتأويل التنزيل
تفسير
جزء الذاريات
في سؤال وجواب
تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي
مكتبة مكة


جزء الذاريات



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

(١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م)

رقم الإيداع

(١٩٨٤١ / ٢٠٠٦)

مكتبة مكة بطنطا

١٠ شارع طه الحكيم أمام استديو فينوس

ت: ٠٤٠٣٢٩٥٧٤٥ - جوال : ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣

التَّسْهِيلُ لِتَأْوِيلِ التَّنْزِيلِ

تفسير

جزء الذاريات

في سؤال وجواب

تأليف
أبي عبد الله مصطفى بن العدوي

الناشر
مكتبة مكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد..

فهذا تفسير الجزء السابع والعشرون من كتاب الله عز وجل - ألا وهو جزء الذاريات - في صورة سؤال وجواب، ضمن سلسلة التفسير الموسومة بـ (التسهيل لتأويل التنزيل) والتي قد صدر منها - ولله الحمد - إلى الآن سبعة عشر مجلدًا من سور متفرقة.

فأقدم - مستعينًا بالله عز وجل، مستهديًا إياه - هذا الجزء على غرار ما قد سبق، وقد تناولت فيه بعض المباحث بشيء من الاتساع.

من ذلك المباحث المتعلقة بالجنة والنار (في سورة الرحمن).

وكذا بعض المباحث الفقهية الأخرى، كمسألة مس المصحف لغير المتوضئ، ومس الجنب له، وذلك في سورة الواقعة.

وكذا ما يتعلق بالأعمال التي تنفع الميت ويصل ثوابها إليه، كما في سورة النجم.

إلى غير ذلك من الباحث الفقهية والعقائدية التي يجدها القارئ في ثنايا هذا الجزء.

أما عن سائر خطة العمل: فكما أسلفت فإنها المتبعة في تفسير السور التي صدرت من هذه السلسلة.

والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل بقبول حسن، وأن ينفعني به والإسلام

والمسلمين، كما أسأله سبحانه أن يوفقني لتفسير كتابه على الوجه الذي يرضى به عني، وأن يتجاوز عن خطئي وهفواتي وعمدي، وسري وجهري، وكل ذلك عندي، فأستغفر الله وأتوب إليه.

هذا، وما كان من صواب في هذا العمل فمن الله عز وجل وحده، فله النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، وسبحانه لا علم لنا إلا ما علمنا، إنه هو العليم الحكيم.

وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا.

هذا، ومن له نصح من إخواني أهل العلم وطلبته فجزاه الله خيرًا على تفضله بتوجيه النصح.

وصلِّ اللهمَّ على نبينا محمد وسلم
والحمد لله رب العالمين

كتبه
أبو عبد الله
مصطفى بن العدوي

تفسير سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾

اذكر معنى ما يلي:

﴿وَالذَّارِيَاتِ - ذَرْوًا - فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا - فَالْجَارِيَاتِ - يُسْرًا - فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا - إِنَّمَا تُوعَدُونَ - لَصَادِقٌ - الدِّينَ - لَوَاقِعٌ - الْحُبُكِ - مُخْتَلِفٍ - يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ - قُتِلَ - الْخَرَّاصُونَ - غَمْرَةٍ - سَاهُونَ - أَيَّانَ - يَوْمُ الدِّينِ - يُفْتَنُونَ - ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾

الكلمة	معناها
﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾	الرياح[(١)] التي تذرو التراب - أي تُهيجه وتُطيّره. أما الواو فهي واو القسم.
﴿ذَرْوًا﴾	تهييجًا - تطييرًا - تذريةً.
﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾	السحب التي تتحمل وقرها من المطر أو السحب الممتلئة بالمياه. وقيل: الرياح الحاملة للسحب.

(١) وقد صح عن عليٍّ رضي الله عنه أنه قال هي الرياح، فعند الطبري (٣٢٠١٣) بسند صحيح عن أبي الطفيل قال: سمعت عليًّا يقول: لا تسألوني عن كتاب نافق ولا عن سنةٍ ماضية إلا حدثتكم، فسأله ابن الكواء عن الذاريات فقال: هي الرياح. ويشهد لقول علي رضي الله عنه ما ورد في الحديث: «اللهم رب الرياح وما ذرين..».

	والوقر: ثقل الحمل على ظهر أو في بطن. والوقر أيضًا الحمل، وقد قيل في الحاملات وقرًا قول آخر بعيد ههنا وهو الحاملات من النساء إذا أثقلن بالحمل.
﴿ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ ﴾	السفن[١]
﴿يُسْرًا﴾	سهلًا ـ يسيرًا[٢] ـ جريًا ذا يُسر. فالمراد بالجاريات يسرًا: السفن التي تجري في البحر جريًا سهلًا يسيرًا.
﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾	الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه[٣].
﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ﴾	إن الذي يعدكم الله به.
﴿لَصَادِقٌ﴾	لصدق ـ لكائن حق يقين ـ لمتحقق.
﴿ٱلدِّينَ﴾	الجزاء والحساب.
﴿لَوَٰقِعٌ﴾	لكائن
﴿ٱلْحُبُكِ﴾	الخلق الحسن ـ الطرائق ـ ذات الاستواء والحسن[٤]. البنيان المتقن ـ التماسك الشديد[٥] ـ الزينة.
﴿مُّخْتَلِفٍ﴾	متخالف متناقض.

---

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية﴾.

(٢) وفي جريها يُسرًا وجهان: أحدهما إلى حيث يسيرها الله تعالى من البلاد والبقاع، والثاني: هو سهولة تسييرها، قاله القرطبي.

(٣) صح ذلك عن علي رضي الله عنه (٣٢٠٢١).

(٤) ورد ذلك عن ابن عباس عند الطبري (٣٢٠٤٠)، (٣٢٠٤١)، وأخرج الطبري بسندٍ صحيح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: «إن من ورائكم الكذاب المُضل، و إن رأسه من ورائه حُبُكٌ حُبُكٌ» يعني بالحبك الجعودة.

(٥) ومنه هذا الشيء محبوك أي: مشدود بعضه إلى بعض.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾	يُصرف عن هذا القرآن من صُرف. يُضَل عنه من ضل[(١)]. لا يؤمن به من قُدِّرت عيه الشقاوة. ويُضل بسببه ويؤفك عنه من هو مأفوك ضال غُمْر لا فهم له.
﴿قُتِلَ﴾	لُعن ـ هلك.
﴿الْخَرَّاصُونَ﴾[(٢)]	المتكهنون ـ المرتابون ـ الكذابون ـ الذين يتكلمون كذبًا بناءً على الظنون الباطلة (الذين يقولون: لا نبعث)، الآخذون بالتخمين مع ترك الدلائل.
﴿غَمْرَةٍ﴾	ما يغمرهم من الضلال ـ (أي أنهم مغمورون في الضلالة والعمى التي غمرتهم)، والغمرة تطلق على ما ستر الشيء وغطّاه، ومنه نهرٌ غمرٌ أي يغمر من دخله.
﴿سَاهُونَ﴾	لاهون ـ غافلون.
﴿أَيَّانَ﴾	متى.
﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾	يوم المجازاة والحساب، والثواب والعقاب. (وهو يوم القيامة) اليوم الذي يدين الله فيه العباد بأعمالهم.
﴿يُفْتَنُونَ﴾	يعذبون بالإحراق بالنار[(٣)].
﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾	ذوقوا عذابكم وحريقكم[(٤)] ـ ذوقوا جزاء تكذيبكم.

❁❁❁

(١) وهناك قول آخر وهو: يُصرف عن هذا الاختلاف من صُرف.

(٢) روي عن قتادة (٣٢٠٦٩) بإسنادٍ حسن أنه قال: ﴿قتل الخراصون﴾ قال: أهل الظنون.
(قلت): ومن التخرص: قولهم إن محمدًا شاعرًا أو كاهن أو مجنون أو كذاب، ومن التخرص قولهم لا بعث ولا ثواب ولا عقاب.

(٣) ورد نحو ذلك عن عكرمة عند الطبري (٣٢٠٨٢).

(٤) روي ذلك عن قتادة عند الطبري (٣٢٠٩١، ٣٢٠٩٢) بإسنادٍ حسن.

س: وضح - بصورةٍ مجملةٍ - ما تضمنته هذه السورة المباركة «سورة الذاريات»؟

ج: افتتحت هذه السورة المباركة الكريمة بقسم من الله عز وجل، فقد أقسم الله عزَّ وجل فيها ببعض مخلوقاته العظيمة كالرياح والسحب المحملة بالماء والسفن الجارية بتيسير الله عز وجل لها، وكذا بالملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه وتجري في الخلق ما قدره الله وقضاه، أقسم بكل ذلك على أن ما يعدنا الله به صدقٌ ومتحققٌ وأقسم بذلك أيضًا على أن البعث والحساب آتٍ وكائن لا محالة.

ثم أقسم الله عز وجل قسمًا آخر بالسماء ذات الحسن والاستواء وذات الطرائق، وذات التماسك الشديد على أن المشركين في قولٍ مختلف وآراء متعددة في شأن القرآن والنبي عليه الصلاة والسلام، يهتدي للحق في ذلك من هداه الله، ويُصرف عنه من صرفه الله.

ثم دعاءٌ باللعن على الكذابين الذين يتقولون بغير علم ويقذفون بالظنون ويصفون القرآن بغير أوصافه وكذا يصفون النبي ﷺ بغير أوصافه، ووعيدٌ شديدٌ لهم على هذا التخرص والكذب.

ثم في المقابل بيان حال المتقين وأعمالهم لعل متأسيًا أن يتأسى بهم وعاملاً أن يعمل بعملهم، وإرشاد وحثٌّ على النظر في آيات الله وتدبرها، ثم يقسم الله عزَّ وجل على صدق نبيه محمد ﷺ وأن ما أخبر به صدق وحق.

ثم تذكير بقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع الملائكة وما حوته تلك القصة من الآداب والبشارات، ثم ذِكر طائفة من الأنبياء وأممهم المعاندين لهم وكيف كانت مصائرهم، ثم تذكير بعظيم المخلوقات كالسماء والأرض، ومنن الله على العباد في ذلك وحث على الرجوع إلى الله والفرار إليه والتحذير من الشرك وبيان أحوال المكذبين، وحث على التذكير وبيان الغاية التي من أجلها خُلِقَ بنو آدم، ألا وهي توحيد الله عزَّ

وجل وطاعته، وبيان غنى الله عزَّ وجل عن عباده ثم تحذير وتهديد ووعيد لأهل الكفر المصرين على التمرد والعناد المنكرين للبعث والنشور، وأنه سيحل بهم من النكال والعقاب مثل ما حل بأمثالهم. والله تعالى أعلم.

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لهذه الآيات: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾؟

ج: هذا قَسَمٌ من الله تبارك وتعالى، فيُقسم ربنا تبارك وتعالى بالذاريات وهي الرياح وبالسحب، وبالسفن التي تمخر البحار، وبالملائكة التي تقسم الأرزاق بإذن ربها، يُقسم ربنا سبحانه وتعالى بهذه المخلوقات العظيمة على أن البعث آتٍ وعلى أن القرآن حق.

قال السعدي رحمه الله:

هذا قسم من الله الصادق في قيله، بهذه المخلوقات العظيمة التي جعل الله فيها من المصالح والمنافع، ما جعل على أن وعده صدق، وأن الدين الذي هو يوم الجزاء والمحاسبة على الأعمال، لواقع لا محالة، ما له من دافع.

فإذا أخبر به الصادق العظيم وأقسم عليه، وأقام الأدلة والبراهين عليه فلم يكذب به المكذبون، ويعرض عن العمل له العاملون.

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ هي: الرياح التي تذرو، في هبوبها ﴿ذَرۡوٗا﴾ بلينها، ولطفها، وقوتها، وإزعاجها.

﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾ هي: السحاب، تحمل الماء الكثير، الذي ينفع الله به العباد والبلاد.

﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾ النجوم، التي تجري على وجه اليسر والسهولة، فتتزين بها

السموات، ويُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وينتفع بالاعتبار بها.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة التي تقسم الأمر وتدبره بإذن الله، فكل منهم، قد جعله الله على تدبير أمر من أمور الدنيا والآخرة، لا يتعدى ما حُدَّ له وقُدِّر، وَرُسِم، ولا يُنقص منه.

❁❁❁

س: لماذا أقسم الله بهذه المخلوقات؟

ج: أقسم الله بهذه المخلوقات لشرفها، ولما فيها من الدلالات على عظيم قدرته وعجيب صنعته، فالذي صرَّف الرياح وخلق الملائكة، وكلفها بالذي كلفها به قادرٌ على البعث.

❁❁❁

س: أقسم الله تبارك وتعالى بالسماء ذات الحبك فأين جواب ذلك القسم؟

ج: جوابه في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾.

❁❁❁

س: ما الحكمة في تكرير القسم في الآيات السابقة؟

ج: قال الرازي رحمه الله (تفسير الفخر الرازي):

قد ذكرنا الحكمة وهي في القسم من المسائل الشريفة والمطالب العظيمة في سورة والصافات، ونعيدها ههنا وفيها وجوه:

الأول: أن الكفار كانوا في بعض الأوقات يعترفون بكون النبي ﷺ غالبًا في إقامة الدليل وكانوا ينسبونه إلى المجادلة وإلى أنه عارف في نفسه بفساد ما يقوله، وأنه يغلبنا بقوة الجدل لا بصدق المقال، كما أن بعض الناس إذا أقام عليه الخصم الدليل ولم يبق له حجة، يقول: إنه غلبني لعلمه بطريق الجدل وعجزي عن ذلك، وهو في نفسه

يعلم أن الحق بيدي فلا يبقى للمتكلم المبرهن طريق غير اليمين، فيقول: والله إن الأمر كما أقول، ولا أجادلك بالباطل، وذلك لأنه لو سلك طريقًا آخر من ذكر دليل آخر، فإذا تم الدليل الآخر يقول الخصم فيه مثل ما قال في الأول: إن ذلك تقرير بقوة علم الجدل فلا يبقى إلا السكوت أو التمسك بالأيمان وترك إقامة البرهان.

الثاني: هو أن العرب كانت تحترز عن الأيمان الكاذبة وتعتقد أنها تدع الديار بلاقع، ثم إن النبي ﷺ أكثر من الأيمان بكل شريف ولم يزده ذلك إلا رفعة وثباتًا، وكان يحصل لهم العلم بأنه لا يحلف بها كاذبًا، وإلا لأصابه شؤم الأيمان ولناله المكروه في بعض الأزمان.

الثالث: وهو أن الأيمان التي حلف الله تعالى بها كلها دلائل أخرجها في صورة الأيمان، مثاله قول القائل لمنعمه: وحق نعمك الكثيرة إني لا أزال أشكرك، فيذكر النعم وهي سبب مفيد لدوام الشكر، ويسلك مسلك القسم، كذلك هذه الأشياء كلها دليل على قدرة الله تعالى على الإعادة، فإن قيل: فلم أخرجها مخرج الأيمان؟ نقول: لأن المتكلم إذا شرع في أول كلامه بحلف يعلم السامع أنه يريد أن يتكلم بكلام عظيم فيصغي إليه أكثر من أن يصغي إليه حيث يعلم أن الكلام ليس بمعتبر، فبدأ بالحلف وأدرج الدليل في صورة اليمين حتى أقبل القوم على سماعه فخرج لهم البرهان المبين، والتبيان المتين في صورة اليمين، وقد استوفينا الكلام في سورة والصافات.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؟

ج: في ذلك وجوه:

أحدها: ﴿إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس مؤمنكم وكافركم مختلفون في هذا القرآن، فمنكم - وهم أهل الإيمان - من يصدِّق به، ومنكم - وهم أهل الكفر - من يُكذِّب به.

الثاني: إنكم يا أهل الكفر مختلفون في هذا القرآن فمنكم من يقول: هو قولُ

شاعرٍ، ومنكم من يقول: إنه قولُ كاهنٍ، ومنكم من يقول إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، ومنكم من يقول: أساطير الأولين اكتتبها فهي تُملى عليه بكرةً وأصيلًا... إلى غير ذلك من الأقوال.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ هذا جواب القسم الذي هو ﴿وَٱلسَّمَآءِ﴾ أي إنكم يا أهل مكة ﴿لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ في محمد والقرآن فمن مصدّق ومكذّب.

وقيل: نزلت في المقتسمين.

وقيل: اختلافهم قولهم: ساحر، بل شاعر، بل افتراه بل هو مجنون، بل هو كاهن بل هو أساطير الأوّلين.

وقيل: اختلافهم أن منهم من نفى الحشر ومنهم من شك فيه.

وقيل: المراد عبدة الأوثان والأصنام يقرون بأن الله خالقهم ويعبدون غيره.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ وفي تفسيره أقوال مختلفة كلها محكمة:

الأول: إنكم لفي قول مختلف، في حق محمد ﷺ، تارة تقولون: إنه أمين، وأخرى: إنه كاذب، وتارة تنسبونه إلى الجنون، وتارة تقولون: إنه كاهن وشاعر وساحر، وهذا محتمل لكنه ضعيف، إذ لا حاجة إلى اليمين على هذا، لأنهم كانوا يقولون ذلك من غير إنكار حتى يؤكد بيمين.

الثاني: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ أي غير ثابتين على أمر، ومن لا يثبت على قول لا يكون متيقنًا في اعتقاده فيكون كأنه قال تعالى: والسماء إنكم غير جازمين في اعتقادكم وإنما تظهرون الجزم لشدة عنادكم، وعلى هذا القول فيه فائدة وهي أنهم لما قالوا للنبي ﷺ: إنك تعلم أنك غير صادق في قولك، وإنما تجادل ونحن نعجز عن الجدل قال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ أي: إنك صادق ولست معاندًا، ثم قال تعالى: بل أنتم والله جازمون بأني صادق فعكس الأمر عليهم.

الثالث: إنكم لفي قول مختلف، أي متناقض، أما في الحشر فلأنكم تقولون: لا حشر ولا حياة بعد الموت، ثم تقولون: إنا وجدنا آباءنا على أمة، فإذا كان لا حياة بعد الموت ولا شعور للميت: فماذا يصيب آباءكم إذا خالفتموهم؟ وإنما يصح هذا ممن يقولون بأن بعد الموت عذابًا فلو علمنا شيئًا يكرهه الميت يبدي فلا معنى لقولكم: إنا لا ننسب آباءنا بعد موتهم إلى الضلال، وكيف وأنتم تربطون الركائب على قبور الأكابر، وأما في التوحيد فتقولون: خالق السموات والأرض هو الله تعالى لا غيره، ثم تقولون: هو إله الآلهة وترجعون إلى الشرك، و أما في قول النبي ﷺ فتقولون: إنه مجنون، ثم تقولون له: إنك تغلبنا بقوة جدلك، والمجنون كيف يقدر على الكلام المنتظم المعجز، إلى غير ذلك من الأمور المتناقضة.



س: هل من وجه للربط بين القسم بقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ وقوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾؟

ج: أشار بعض أهل العلم إلى مناسبة بينهما فقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ قسم بالسماء ذات التماسك الشديد والتناسق البديع، والطرائق والممرات والمسارات التي ليس بينها اختلاف، يقسم ربنا بذلك على أن هؤلاء القوم مختلفون فيما بينهم؛ فخلق السماء متناسق رغم اتساعها وكبر حجمها وعظمتها، وأنتم يا أهل الكفر في اختلاف وشقاق.

❁❁❁

س: المهتدي للإيمان والقرآن من هداه الله، والمنصرف من صرفه الله، دلِّل على ذلك؟

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة:٢١٣].

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ

بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:٥٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦].

ـ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة:١٢٧].

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾؟

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

يقول تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ أي: قاتل الله الذين كذبوا على الله، وجحدوا آياته، وخاضوا بالباطل، ليدحضوا به الحق، الذين يقولون على الله ما لا يعلمون.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ هذا دعاء عليهم، وحكى الواحدي عن المفسرين جميعًا: أن المعنى لعن الكذابون، والمراد بالكذابين أصحاب القول المختلف، وأصل هذا التركيب الوعد بالقتل: أجري مجرى اللعن، واستعمل بمعناه تشبيهًا للملعون. الذي يفوته كل خير وسعادة بالمقتول الذي تفوته الحياة، وكل نعمة، وقال ابن الأنباري: والقتل إذا أخبر به عن الله كان بمعنى اللعنة لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك. قال الفراء معنى قُتِل: لُعِن، وفي القاموس ما يقتضي أن قتل يأتي بمعنى لعن، ونصه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧] أي: لعن ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون:٤] أي لعنهم، والخراصون الكذابون، الذين يتخرصون فيما لا يعلمون، فيقولون: إن محمدًا مجنون كذاب شاعر ساحر.

قال الزجاج: الخراصون هم الكذابون، والخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرًا والخراص الذي يخرصها، وليس هو المراد هنا، قال ابن عباس في الآية: لعن المرتابون، وعنه قال: هم الكهنة وقيل: هم المقتسمون الذين اقتسموا أعقاب مكة

ليصرفوا الناس عن الإسلام.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، الذين هم مغمورون في الضلالة غارقون فيها، ساهون ومتغافلون عن الحق الذي جاء به محمد ﷺ، قد لهوا عنه.

هذا، وقد أخرج الطبري[1] بسندٍ صحيح عن ابن زيدٍ في قوله: ﴿فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾ قال: ساهون عما أتاهم، وعما نزل عليهم، وعما أمرهم الله تبارك وتعالى، وقرأ قول الله جل ثناؤه: ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾... الآية [المؤمنون:٦٣]، وقال: ألا ترى الشيء إذا أخذته ثم غمرته في الماء.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾ أي: في لجة من الكفر، والجهل، والضلال ﴿سَاهُونَ﴾.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾؟

ج: المراد، والله تعالى أعلم، هذا العذاب الذي تعذبون وهذه النار التي تصلون هو الذي كنتم تنكرونه في دنياكم وتسألون ساخرين: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟

وكما قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ﴾ [الحج:٤٧].

هذا، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾ أي يُقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا.



(١) الطبري (٣٢٠٧٥).

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ٱلْمُتَّقِينَ - جَنَّٰتٍ - وَعُيُونٍ - ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ - يَهْجَعُونَ - وَبِٱلْأَسْحَارِ - يَسْتَغْفِرُونَ - لِّلسَّآئِلِ - وَٱلْمَحْرُومِ - ءَايَٰتٌ - لِّلْمُوقِنِينَ﴾ .

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم بطاعته واجتناب معاصيه.
﴿جَنَّٰتٍ﴾	بساتين.
﴿وَعُيُونٍ﴾	عيون ماء.
﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾	قابلين ما رزقهم الله في الجنة، وما أعطاهم من الثواب وأنواع الكرامات وراضين به.

﴿يَهْجَعُونَ﴾	ينامون[١]، والهجوع النوم ليلاً.
﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ﴾	أواخر الليل.
﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾	يطلبون من الله المغفرة.
﴿لِّلسَّآئِلِ﴾	الذي يسأل الناس.
﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾	هو الذي حُرم المال ثم للعلماء في تعيينه أقوال منها: الذي ليس له في الإسلام سهم. الذي ليس له سهم في الغنيمة. المتعفف الذي لا يسأل ربه[٢]. الذي ذهب ثمره وزرعه[٣] وماله.
﴿ءَايَٰتٌ﴾	عِبرٌ وعظات ـ دلالات.
﴿لِّلْمُوقِنِينَ﴾	أهل اليقين ـ الذين يوقنون بما أخبرهم به ربهم كأنهم يرونه رأي العين.

❁❁❁

س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن هؤلاء المتقين كانوا في دنياهم عاملين بطاعة الله آخذين ما أمروا به بجدٍّ واجتهاد مقيمين للفرائض ليسوا بمضيعين لها.

وذلك كما قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢] أي اقبله واعمل بما فيه

---

(١) والذي اختاره ابن جرير في (ما) أنها مصدرية وقوله: ﴿ما يهجعون﴾ أي هجوعهم أي نومهم كان قليلاً بالليل، وثَمَّ قول آخر: أن ما نافية، والمعنى: كانوا قليلاً من الليل ما ينامون، فلَّما يرقدون ليلة حتى الصباح.

(٢) انظر الطبري رحمه الله (٤٥٩).

(٣) مستنده قول أصحاب الجنة الذين أقسموا ليصرمنها مصبحين ﴿بل نحن محرومون﴾.

بجدٍّ واجتهادٍ، ومبادرة وامتثال.

أما قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ﴾ أي كانوا أيضًا قبل أن تفرض عليهم الفرائض مطيعين لله محسنين في أفعالهم فاعلين النفل قبل الفرض.

هذا، وهناك قولٌ آخر في تفسير قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ وهو أقوى من القول الأول، وأولى منه، ألا وهو أن قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ﴾ منصوب على الحال فالمعنى في جناتٍ وعيونٍ في حال أخذ ﴿مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي ما أعطاهم ربهم من الكرامات في الجنات، فقوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أي قابلين ما تفضل به عليهم ربهم راضين به شاكرين له حامدين.

قال السعدي رحمه الله تعالى:

﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يحتمل أن المعنى أن أهل الجنة قد أعطاهم مولاهم جميع مناهم، من جميع أصناف النعيم، فأخذوا ذلك، راضين به، قد قرَّت به أعينهم، وفرحت به نفوسهم، ولم يطلبوا منه بدلًا، ولا يبغون عنه حولًا، وكلٌّ قد ناله من النعيم، ما لا يطلب عليه المزيد، ويحتمل أن هذا وصف المتقين في الدنيا، وأنهم آخذون ما آتاهم الله، من الأوامر والنواهي، أي: قد تلقوها بالرحب، وانشراح الصدر، منقادين لما أمر الله به، بالامتثال على أكمل الوجوه، ولما نهى عنه، بالانزجار عنه لله، على أكمل وجه، فإن الذي أعطاهم الله من الأوامر والنواهي، هو أفضل العطايا، التي حقها، أن تتلقى بالشكر لله عليها، والانقياد.

والمعنى الأول، ألصق بسياق الكلام، لأنه ذكر وصفهم في الدنيا، وأعمالهم بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ﴾ الوقت الذي وصلوا به إلى النعيم ﴿مُحْسِنِينَ﴾ وهذا شامل لإحسانهم بعبادة ربهم، أن يعبدوه كأنهم يرونه، فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم. وللإحسان إلى عباد الله ببذل النفع، والإحسان، من مال، أو علم، أو جاه أو نصيحة، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو غير ذلك من وجوه البر، وطرق الخيرات، حتى

إنه يدخل في ذلك، الإحسان بالقول، والكلام اللين والإحسان إلى المماليك، والبهائم المملوكة، وغير المملوكة، ومن أفضل أنواع الإحسان في عبادة الخالق، صلاة الليل، الدالة على الإخلاص، وتواطؤ القلب واللسان.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؟

ج: صح[1] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يتيقظون يصلون ما بين هاتين الصلاتين ما بين المغرب والعشاء.

وصح عن مطرفٍ أنه قال: قلَّ ليلة أتت عليهم إلا صلوا فيها، وفي رواية أخرى عنه: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله، إما من أوَّلها، وإما من وسطها.

وصح عن الحسن أنه قال: كانوا لا ينامون منه إلا قليلًا. ونحوه صح عن الأحنف بن قيس.

وثَمَّ أقوال أُخر تدور في هذه المعاني:

قال الطبري رحمه الله:

وأولى الأقوال بالصحة في تأويل قوله: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قول من قال: كانوا قليلًا من الليل هجوعهم، لأن الله تبارك وتعالى وصفهم بذلك مدحًا لهم، وأثنى عليهم به، فوصفهم بكثرة العمل، وسهر الليل، ومكابدته فيما يقرّبهم منه ويرضيه عنهم، أولى وأشبه من وصفهم من قلة العمل، وكثرة النوم، مع أن الذي اخترنا في ذلك هو أغلب المعاني على ظاهر التنزيل.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير:

---

(١) الطبري (٣٢١٠١).

ثم ذكر إحسانهم فقال: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ والهُجوع: النَّوم بالليل دون النهار. وفي (ما) قولان:

أحدهما: النفي. ثم في المعنى قولان: **أحدهما:** كانوا يسهرون قليلًا من الليل. قال أنس بن مالك، وأبو العالية: وهو ما بين المغرب والعشاء.

والثاني: كانوا ما ينامون قليلًا من الليل. واختار قومٌ الوقفَ على قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ على معنى: كانوا من الناس قليلًا، ثم ابتدأ فقال: ﴿مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ على معنى نفي النوم عنهم البتَّة، وهذا مذهب الضحاك، ومقاتل.

والقول الثاني: أن (ما) بمعنى الذي، فالمعنى: كانوا قليلًا من الليل الذي يهجعونه، وهذا مذهب الحسن، والأحنف بن قيس، والزهري. وعلى هذا يحتمل أن تكون (ما) زائدة.

❁❁❁

س: اذكر بعض الوارد في فضل قيام الليل؟

ج: قد تقدم من ذلك شيءٌ كثير في تفسير سورة المزمل عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [المزمل:٢]، وإضافة إلى ما هنالك فقد قال تعالى في شأن عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان:٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩] على قولٍ لبعض المفسرين.

وقال ﷺ: «لا حسد إلا على اثنتين، رجل آتاه الله القرآن وقام به آناء الليل...» الحديث[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٥)، ومسلم (٨١٥).

وقال ﷺ: «يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر»[١].

وقال ﷺ في شأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»[٢].

وقال ﷺ: «وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل»[٣].

وثَمَّ أدلة أخرى تأتي في موطنها إن شاء الله.



س: اذكر بعض الوارد في فضل الاستغفار عند السحر؟

ج: من ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٧]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له»[٤].



س: هل من رابط بين قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، وقوله: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾؟

ج: ذكر البعض مناسبةً لذلك حاصلُها أنهم يقومون من الليل يصلون، ويستغفرون لتقصيرهم في هذا القيام، قالوا: وهذا شأن أهل الإيمان يعملون صالحًا ويسألون ربهم المغفرة والقبول.

---

(١) أخرجه أبو داود بسندٍ صحيح (حديث ١٤١٦).

(٢) البخاري (١١٢١)، ومسلم (٢٤٧٩).

(٣) مسلم (١١٦٣).

(٤) البخاري (مع الفتح ١١/ ١٢٨)، ومسلم (مع النووي ٦/ ٣٦).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ ومع ذلك يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآيات [البقرة:١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان:٦٣ـ٦٥].

قال الرازي رحمه الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ إشارة إلى أنهم كانوا يتهجدون ويجتهدون يريدون أن يكون عملهم أكثر من ذلك وأخلص منه ويستغفرون من التقصير وهذا سيرة الكريم يأتي بأبلغ وجوه الكرم ويستقله ويعتذر من التقصير، واللئيم يأتي بالقليل ويستكثره ويمن به.

وفيه وجه آخر ألطف منه، وهو أنه تعالى لما بين أنهم يهجعون قليلًا، والهجوع مقتضى الطبع، قال: ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي من ذلك القدر من النوم القليل، وفيه لطيفة أخرى تنبيهًا في جواب سؤال، وهو أنه تعالى مدحهم بقلة الهجوع، ولم يمدحهم بكثرة السهر، وما قال: كانوا كثيرًا من الليل ما يسهرون، فما الحكمة فيه، مع أن السهر هو الكلفة والاجتهاد لا الهجوع؟ نقول إشارة إلى أن نومهم عبادة، حيث مدحهم الله تعالى بكونهم هاجعين قليلًا، وذلك الهجوع أورثهم الاشتغال بعبادة أخرى، وهو الاستغفار في وجوه الأسحار، ومنعهم من الإعجاب بأنفسهم والاستكبار.



س: ما المراد بهذا الحق؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنه الزكاة المفروضة.

الثاني: أنه حق آخر جعلوه على أنفسهم غير الزكاة.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ مدح ثالث. قال محمد بن سيرين وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة، وقيل: إنه حقّ سوى الزكاة يصل به رَحمًا، أو يَقري به ضيفًا، أو يحمل به كَلاًّ، أو يغني محرومًا، وقاله ابن عباس؛ لأن السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة، ابن العربي: والأقوى في هذه الآية أنها الزكاة؛ لقوله تعالى في سورة «المعارج»: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٥] والحق المعلوم هو الزكاة التي بيّن الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم؛ لأنه غير مقدَّر ولا مجنَّس ولا موقَّت.

❁❁❁

س: ما مدى صحة هذا الحديث «للسائل حق وإن جاء على فرس»؟ ومن أخرجه؟

ج: هذا الحديث لا يثبت بوجه من الوجوه عن رسول الله ﷺ في كل الطرق التي وقفت عليها فكلها طرق ضعيفة الأسانيد وتالفة، وقد أخرج بعضها أبو داود[1] في سننه، وأحمد[2] في مسنده وابن عدي في الكامل وغيرهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾؟

ج: المعنى، والله أعلم، وفي الأرض عبرٌ وعظاتٌ لأهل اليقين وأهل الإيقاظ وأهل الاعتبار، وذلك إذا ساروا في الأرض ونظروا نظر المعتبرين المتعظين.

---

(١) انظر سنن أبي داود (١٦٦٥، ١٦٦٦).

(٢) وأحمد في المسند (١/ ٢٠١).

وكذا فيها دلالات على وحدانيتنا وقدرتنا، وعظمتنا يستدل بها أهل اليقين الذين يوقنون بحقيقة ما عاينوا ورأوا إذا هم ساروا فيها ومشوا في مناكبها.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ أي: فيها من الآيات الدالة على عَظَمة خالقها وقدرته الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقُوَى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحَلّ الذي هو محتاج إليه فيه، ولهذا قال: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. قال قتادة: من تفكر في خلق نفسه عَرَف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ لما ذكر أمر الفريقين بيّن أن في الأرض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور؛ فمنها عود النبات بعد أن صار هشيمًا، ومنها أنه قدَّر الأقوات فيها قوامًا للحيوانات، ومنها سيرهم في البلدان التي يشاهدون فيها آثار الهلاك النازل بالأمم المكذَّبة، والموقنون هم العارفون المحقّقون وحدانية ربهم، وصدق نبوّة نبيهم؛ خصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بتلك الآيات وتدبرها.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾؟

ج: المعنى، والله تعالى أعلم، وفي أنفسكم أيها الناس عبرٌ وعِظاتٌ ودلالاتٌ على قدرتنا ووحدانيتنا وعظمتنا ومن هذه العِبر والعظات ما يراه الشخص في نفسه عند إرادته أن يبول.

وإذا نظر كذلك إلى خروج المني، وكذلك إذا انظر إلى عضلات التحكم في نفسه، وكيف يبزق وكيف يمتخط وكيف العطاس، وكذا إذا نظر إلى تراكيب جسمه، وإلى لونه وكيف يختلف فيه عن سائر الناس، وإلى بصماته، وإلى المحبة المقذوفة في قلبه لأشخاص، وإلى بعض أشخاصٍ آخرين وإلى عقله وكيف يفكر، وكذا إلى نومه واستيقاظه، وقيامه وقعوده، وعموم أحواله، إذا نظر إلى ذلك كله يوجد في ذلك عبرٌ وعظاتٌ، ودلالات على وحدانية الله عزَّ وجلَّ.

هذا، وقد صح عن ابن زيد في قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾، وقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] قال: وفينا آيات كثيرة، هذا السمع والبصر واللسان والقلب، لا يدري أحد ما هو أسود أو أحمر، وهذا الكلام الذي يتلجلج به، وهذا القلب أي شيء هو، إنما هو مضغة في جوفه، يجعل الله فيه العقل، أفيدري أحد ما ذاك العقل، وما صفته، وكيف هو؟

قال الطبري[1] رحمه الله:

والصواب من القول في ذلك أن يقال: معنى ذلك: وفي أنفسكم أيضًا أيها الناس آيات وعبر تدلُّكم على وحدانية صانعكم، وأنه لا إله لكم سواه، إذ كان لا شيء يقدر على أن يخلق مثل خلقه إياكم ﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم.

قال صديق حسن خان في فتح البيان:

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال، آيات تدل على توحيد الله وصدق ما جاءت به الرسل، فإنه خلقهم نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظمًا، إلى أن ينفخ فيهم الروح، ثم تختلف بعد ذلك صورهم، وألوانهم، وطبائعهم، وألسنتهم، ثم نفس خلقهم على هذه الصورة العجيبة الشأن من لحم ودم وعظم وأعضاء وحواس

(١) الطبري (٣٢١٧٩).

ومجاري ومنافس، وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطرة وبدائع الخلق ما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف، وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة مدبرها وصانعها، دع الأسماع والأبصار، والأطراف، وسائر الجوارح، وتأتيها لما خلقت له، وما سوى ذلك في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، فإنه إذا جسا منها شيء جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون:١٤].

وقيل: يريد اختلاف الألسن والصور والألوان والطبائع، وقيل يريد سبيلي الغائط والبول، يأكل ويشرب، من مدخل واحد، ويخرج من سبيلين، وقيل: المراد بالأنفس الأرواح، أي: وفي نفوسكم التي بها حياتكم آيات، ولا وجه لتخصيص شيء دون شيء، بل اللفظ أوسع من ذلك.

﴿أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ أي: تنظرون بعين البصيرة والعبرة الأرض وما فيها، والأنفس وما فيها، فتستدلون بذلك على الخالق الرازق المنفرد بالألوهية، وأنه لا شريك له ولا ضد، ولا ند، وأن وعده الحق، وقوله الحق، وأن ما جاءت إليكم به رسله هو الحق الذي لا شك فيه، ولا شبهة تعتريه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ قيل: التقدير وفي الأرض وفي أنفسكم آيات للموقنين، وقال قتادة: المعنى: من سار في الأرض رأى آياتٍ وعبرًا، ومن تفكر في نفسه علم أنه خُلق ليعبد الله.

ابن الزبير ومجاهد: المراد سبيل الخلاء والبول، وقال السائب بن شريك: يأكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين؛ ولو شرب لبنًا محضًا لخرج منه الماء ومنه الغائط؛ فتلك الآية في النفس، وقال ابن زيد: المعنى أنه خلقكم من تراب، وجعل لكم

السمع والأبصار والأفئدة: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

السدي: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾ أي في حياتكم وموتكم، وفيما يدخل ويخرج من طعامكم. الحسن: وفي الهَرَم بعد الشباب، والضعف بعد القوّة، والشيب بعد السواد.

وقيل: المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصُّوَر، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصَّت به من أنواع المعاني والفنون، وبالألسن والنطق ومخارج الحروف والأبصار والأطراف وسائر الجوارح، وتأتّيها لما خُلِقت له، وما سَوَّى في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني، وأنه إذا جسا شيء منها جاء العجز، وإذا استرخى أناخ الذل: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]. ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني بصر القلب ليعرفوا كمال قدرته.

وقيل: إنه نُجْح العاجز، وحرمان الحازم.

قلت: كل ما ذكر مراد في الاعتبار، وقد قدَّمنا في آية التوحيد من سورة «البقرة» أن ما في بدن الإنسان الذي هو العالَم الصغير شيء إلا وله نظير في العالم الكبير، وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني لمن تدبر.

❁❁❁

س: ما المراد بالرزق في قوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾؟

ج: قال عدد من العلماء: المراد بالرزق هنا المطر والثلج اللذان بهما تخرج الأرض ثمرتها وتخرج للناس رزقهم وقُوتَهم من الطعام.

وقال آخرون: المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي: ومن عند الله الذي في السماء رزقكم.

ونُقل[1] هذا التأويل عن واصل الأحدب.

---

(١) وهو عند الطبري (٣٢١٨٦) بسندٍ فيه ابن حميد وفي ابن حميد ضعفٌ.

وثَمَّ وجه آخر: ألا وهو أن الرزق مكتوب عند الله عزَّ وجل وقد استفاض في ذلك القرطبي فقال: قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال سعيد بن جبير والضحاك: الرزق هنا ما ينزل من السماء من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيا به الخلق.

قال سعيد بن جبير: كل عين قائمة فإنها من الثلج، وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب قال لأصحابه: فيه والله رزقكم ولكنكم تُحرَمونه بخطايكم.

وقال أهل المعاني: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ معناه وفي المطر رزقكم؛ سمي المطر سماء لأنه من السماء ينزل. قال الشاعر:

إذا سقَط السماءُ بأرضِ قَومٍ رعيناه وإن كانوا غِضَابَا

وقال ابن كيسان: يعني وعلى ربِّ السماء رزقكم؛ نظيره: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾ [هود: ٦]. وقال سفيان الثوري: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أي عند الله في السماء رزقكم.

وقيل: المعنى وفي السماء تقدير رزقكم، وما فيه لكم مكتوب في أم الكتاب. وعن سفيان قال: قرأ واصل الأحدب ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ فقال: ألا أرى رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض! فدخل خَرِبة فمكث ثلاثًا لا يصيب شيئًا فإذا هو في الثالثة بدوخلةِ رُطبٍ، وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين، فلم يزل ذلك دأبهما حتى فرَّق الله بالموت بينهما، وقرأ ابن محيصن ومجاهد ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رَازِقكُم﴾ بالألف وكذلك في آخرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾. ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال مجاهد: يعني من خير وشر. وقال غيره: من خير خاصة.

وقيل: الشر خاصة، وقيل: الجنة؛ عن سفيان بن عيينة. الضحاك: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الجنة والنار. وقال ابن سيرين: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من أمر الساعة، وقاله الربيع.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾؟

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - وفي السماء الذي توعدون به.

قال بعض العلماء: ما توعدون به من خيرٍ، وهو الجنة، فالجنة في السماء.

وقال غيرهم: وما توعدون به من خيرٍ أو شرٍّ.

وقال آخرون: وما توعدون من الجنة والنار.

والذي يظهر أن النار ليست في السماء إنما هي في سبع أرضين.

إلا أن الطبري ذهب إلى ما رُوي عن مجاهد من أن قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قال: وما توعدون من خيرٍ أو شرٍّ فقال الطبري: وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي القول الذي قاله مجاهد لأن الله عمَّ الخبر بقوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ عن كل ما وعدنا من خير أو شرٍّ، ولم يخصص بذلك بعضًا دون بعض فهو على عمومه كما عمه الله جل ثناؤه.

قال ابن الجوزي رحمه الله (زاد المسير):

وفي قوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ قولان:

أحدهما: أنه الخير والشر كلاهما يأتي من السماء، قاله أبو صالح عن ابن عباس، وابن أبي نجيح عن مجاهد.

والثاني: الجنة، رواه ليث عن مجاهد[1]. قال أبو عبيدة: في هذه الآية مضمر مجازه: عند مَنْ في السماء رزقُكم، وعنده ما توعدون، والعرب تُضْمر، قال نابغة ذبيان:

كأنَّكَ مِنْ جِمالِ بَني أُقَيْشٍ ... يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ

أراد: كأنك جملٌ من جمال بني أُقَيش.



(١) ليث هو ابن أبي سليم ضعيف لاختلاطه، وكذا الأسانيد التي قبله أبو صالح عن ابن عباس، وابن نجيح عن مجاهد فيها كلام.

س: أين الجنة؟ وما الدليل؟

ج: الجنة فوق السماء السابعة؛ قال الله تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ [النجم:١٤-١٥] وسدرة المنتهى رآها النبي ﷺ بعد أن تجاوز السماء السابعة[(١)].

ويستدل على أن الجنة في السماء بقوله أيضًا: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.

❁❁❁

س: أقسم ربنا سبحانه وتعالى بنفسه في عدة مواطن من كتابه، اذكر بعضها[(٢)]؟

ج: من ذلك قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء:٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس:٥] أي والذي بناها، وقوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣].

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ عائدٌ على ماذا؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ عائدٌ على ما أخبر الله به من أن رزقنا في السماء، وكذلك في السماء ما نُوعد.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾.

ج: المعنى، والله أعلم، تأكدوا أن ما أخبركم به حق كما أنكم متأكدون إذا

---

(١) وسيأتي إن شاء الله تخريج الحديث بذلك في سورة النجم.

(٢) ورد في هذا الصدد خبرٌ مرسل (ضعيف السند لإرساله) عن الحسن البصري قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا» أخرجه الطبري وغيره ومراسيل الحسن من أضعف المراسيل وإن كان المتن في نفسه يصح، والله أعلم.

تكلمتم أنكم تتكلمون فإنكم إذا تكلمتم بألسنتكم خرج الكلام عن حد الهواجس والوساوس التي في النفس إلى شيء واضح ظاهر جلي.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أنَّ ما وعدهم به من أمر القيامة والبعث والجزاء، كائن لا محالة، وهو حق لا مرية فيه، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون، وكان معاذ ـ رضي الله عنه ـ إذا حَدَّث بالشيء يقول لصاحبه: إن هذا لحق كما أنك ههنا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ أكّد ما أخبرهم به من البعث وما خلق في السماء من الرزق، وأقسم عليه بأنه لحقٌّ ثم أكده بقوله: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ وخصَّ النطق من بين سائر الحواسّ؛ لأن ما سواه من الحواسّ يدخله التشبيه، كالذي يُرى في المرآة، واستحالة الذوق عند غلبة الصفراء ونحوها، والدويّ والطنين في الأذن، والنطق سالم من ذلك، ولا يُعترَض بالصَّدَى لأنه لا يكون إلا بعد حصول الكلام من الناطق غير مَشُوب بما يشكل به، وقال بعض الحكماء: كما أن كل إنسان ينطق بنفسه ولا يمكنه أن ينطق بلسان غيره، فكذلك كل إنسان يأكل رزقه ولا يمكنه أن يأكل رزق غيره.



﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾

س: اذكر معنى ما يلي.

﴿هَلْ أَتَاكَ - حَدِيثُ - ضَيْفِ - الْمُكْرَمِينَ - سَلَامٌ - قَوْمٌ مُنْكَرُونَ - فَرَاغَ - بِعِجْلٍ - فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً - عَلِيمٍ - فِي صَرَّةٍ - فَصَكَّتْ - عَقِيمٌ - فَمَا خَطْبُكُمْ - لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ - مُسَوَّمَةً - لِلْمُسْرِفِينَ - آيَةً﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿هَلْ أَتَاكَ﴾	ألم يأتك ـ قد أتاك.
﴿حَدِيثُ﴾	قصة ـ خبر.
﴿ضَيْفِ﴾	ضيوفٌ ـ أَضْيافٌ.

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾	الذين أُكرموا (أكرمهم إبراهيم عليه السلام وأكرمتهم زوجته) ـ والمكرمين عند الله ـ بدليل قوله تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦].
﴿سَلَٰمٌ﴾	سلام عليكم.
﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾	قوم غير معروفين لدينا ـ قوم غرباء لا نعرفهم.
﴿فَرَاغَ﴾	عدل إلى أهله ـ رجع إلى أهله (في خفاء وسرعة)[١]. قال بعض العلماء: ولا يكون الرواغ إلا أن تخفي ذهابك ومجيئك.
﴿بِعِجْلٍ﴾	عجلٌ من البقر[٢].
﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾	أحس في نفسه خوفًا منهم[٣] ـ أضمر خوفًا في نفسه.
﴿عَلِيمٍ﴾	عالم (إذا كبر) ذي علم كثير[٤].
﴿فِى صَرَّةٍ﴾	في صيحةٍ ـ رنةٍ[٥].
﴿فَصَكَّتْ﴾	ضربت جبهتها بيدها تعجبًا ـ لطمت.
﴿عَقِيمٌ﴾	لا تلد ـ ليس لها ولد.
﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾	فما شأنكم.
﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾	لننزل عليهم ـ لنرجمهم.

(١) قال القرطبي رحمه الله: ويُقال: إن إبراهيم انطلق إلى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد أن يتخذ لهم من الطعام.

(٢) أورد الطبري (٣٢١٩٣) بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: كان عامة مال نبي الله إبراهيم البقر.

(٣) قال بعض العلماء: ومن أخلاق الناس أنهم إذا أكلوا عند قوم أمنوه، ولم يخشوه.

(٤) روى ذلك الطبري (٣٢١٩٨) بإسنادٍ حسن عن قتادة. وقد قيل إن هذه الصَّرخة هي قولها: ﴿يا ويلتا﴾، والله أعلم.

(٥) ومنه صرير الباب أي صوته.

﴿مُسَوَّمَةً﴾	مُعلَّمة ـ مختومة، (قيل: حجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو حجر أسود فيه نقطة بيضاء)، وقيل: إن كل حجر عليه اسم صاحبه.
﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾	الذين تعدوا حدود الله ـ الكافرين ـ وقيل: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ المتمادين في الضلال المجاوزين الحد في الفجور بإتيانهم الذكور.
﴿ءَايَةً﴾	عبرة

❁❁❁

س: ما الفائدة من إخبار الله عزَّ وجل نبيه محمدًا ﷺ بقصة ضيف إبراهيم وما بعدها من القصص؟

ج: الفائدة من ذلك ـ والله أعلم ـ تصبير النبي ﷺ على الأذى الذي يلاقيه من قومه فالله ناصره كما أنه سبحانه وتعالى نصر من كان قبله من الأنبياء والمرسلين.

وكذا من الفوائد تذكير قومه المكذبين له بما حلَّ بمن كذب المرسلين حتى يراجعوا أمرهم ويرجعوا عن غيِّهم وضلالهم.

فضلاً عن ذلك كله فثمَّ فوائد متناثرة بين ثنايا هذه القصص المباركة المذكورة، والله تعالى أعلم.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ، يخبره أنه محل بمن تمادى في غيه، وأصرّ على كفره، فلم يتب منه من كفار قومه، ما أحلّ بمن قبله من الأمم الخالية؛ ومذكرًا قومه من قريش بإخباره إياهم أخبارهم وقصصهم، وما فعل بهم: هل أتاك يا محمد حديث ضيف إبراهيم خليل الرحمن المكرمين.



س: هل يجوز أن تتمثل الملائكة في صورة بشرٍ ويراها البشر؟

ج: نعم هذا جائز ووارد، فقد تمثلت الملائكة لإبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وكذا تمثَّلت للوطٍ عليه السلام، وكذا تمثل جبريل عليه السلام لمريم بشرًا سويًّا وكذا في حديث الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل أتاهم ملك في صورة رجل.

وكذا حديث عمر عند مسلم في قصة مجيء جبريل إلى النبي ﷺ وسؤاله عن الإسلام والإيمان والإحسان في صورة رجلٍ شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منهم أحدٌ...

إلى غير ذلك من الوقائع.



س: وضح المراد بقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾؟

ج: المراد قال إبراهيم عليه السلام لهم: سلام عليكم.

❁❁❁

س: لماذا لم يرد إبراهيم بقوله: ﴿سَلَٰمًا﴾ كما بدأته الملائكة؟

ج: قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾ الرفع أقوى وأثبت من النصب فرَدُّه أفضل من التسليم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآ﴾ [النساء:٨٦] فالخليل اختار الأفضل.

أما الرازي فقد فصَّل في ذلك تفصيلًا واسعًا على عادته في مثل هذه المواطن فقال:

لماذا اختلف إعراب السلامين في القراءة المشهورة؟ نقول: نبين أولًا وجوه

النصب والرفع، ثم نبين وجوه الاختلاف في الإعراب، أما النصب فيحتمل وجوهًا:

أحدها: أن يكون المراد من السلام هو التحية وهو المشهور، ونصبه حينئذ على المصدر تقديره نسلم سلامًا.

ثانيها: هو أن يكون السلام نوعًا من أنواع الكلام وهو كلام سلم به المتكلم من أن يلغو أو يأثم فكأنهم لما دخلوا عليه فقالوا حسنًا سلموا من الإثم، وحينئذ يكون مفعولًا للقول لأن مفعول القول هو الكلام يقال: قال فلان كلامًا، ولا يكون هذا من باب ضربه سوطًا لأن المضروب هناك ليس هو السوط، وههنا القول هو الكلام فسره قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣]، وقوله تعالى: ﴿قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا﴾.

ثالثها: أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره نبلغك سلامًا، لا يقال على هذا إن المراد لو كان ذلك لعلم كونهم رسل الله عند السلام فما كان يقول: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولا كان يقرب إليهم الطعام، ولمَّا قال: نكرهم وأوجس لأنا نقول: جاز أن يقال: إنهم قالوا: نبلغك سلامًا ولم يقولوا من الله تعالى إلى أن سألهم إبراهيم عليه السلام ممن تبلغون لي السلام، وذلك لأن الحكيم لا يأتي بالأمر العظيم إلا بالتدريج فلما كانت هيبتهم عظيمة، فلو ضموا إليه الأمر العظيم الذي هو السلام من الله تعالى لانزعج إبراهيم عليه السلام، ثم إن إبراهيم عليه السلام اشتغل بإكرامهم عن سؤالهم وأخَّر السؤال إلى حين الفراغ فنكرهم بين السلام والسؤال عمن منه السلام هذا وجه النصب، وأما الرفع فنقول: يحتمل أن المراد منه السلام الذي هو التحية وهو المشهور أيضًا، وحينئذ يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره سلام عليكم، وكون المبتدأ نكرة يحتمل في قول القائل سلام عليكم وويل له، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره قال: جوابه سلام، ويحتمل أن يكون المراد قولًا يسلم به أو ينبئ عن السلامة فيكون خبر مبتدأ محذوف تقديره أمري سلام بمعنى مسالة لا تعلق بيني وبينكم لأني لا أعرفكم، أو يكون المبتدأ

قولكم، وتقديره: قولكم سلام ينبئ عن السلامة وأنتم قوم منكرون فما خطبكم فإن الأمر أشكل علي، وهذا ما يحتمل أن يقال في النصب والرفع، وأما الفرق فنقول: أما على التفسير المشهور وهو أن السلام في الموضعين بمعنى التحية فنقول: الفرق بينهما من حيث اللفظ ومن حيث المعنى.

أما من حيث اللفظ: فنقول سلام عليك إنما جُوِّز واستُحْسِنَ لكونه مبتدأ وهو نكرة، من حيث إنه كالمتروك على أصله؛ لأن الأصل أن يكون منصوبًا على تقدير أسلم سلامًا وعليك يكون لبيان من أريد بالسلام، ولا يكون لعليك حظ من المعنى غير ذلك البيان. فيكون كالخارج عن الكلام، والكلام التام أسلم سلامًا، كما أنك تقول: ضربت زيدًا على السطح يكون على السطح خارجًا عن الفعل والفاعل والمفعول لبيان مجرد الظرفية، فإذا كان الأمر كذلك وكان السلام والأدعية كثير الوقوع، قالوا: نعدل عن الجملة الفعلية إلى الإسمية ونجعل لعليك حظًّا في الكلام، فنقول: سلام عليك، فتصير عليك لفائدة لا بد منها، وهي الخبرية، ويترك السلام نكرة كما كان حال النصب، إذا علم هذا فالنصب أصل والرفع مأخوذ منه، والأصل مقدم على المأخوذ منه، فقال: ﴿فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ﴾ قدم الأصل على المتفرع منه.

وأما من حيث المعنى: فذلك لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن، فأتى بالجملة الإسمية فإنها أدل على الدوام والاستمرار، فإن قولنا جلس زيد لا ينبئ عنه لأن الفعل لا بد فيه من الإنباء عن التجدد والحدوث.

ولهذا لو قلت: الله موجود الآن لأثبت العقل الدوام إذ لا ينبئ عن التجدد، ولو قال قائل: وجد الله الآن لكاد ينكره العاقل لما بينا فلما قالوا: سلامًا قال: سلام عليكم مستمر دائم، وأما على قولنا المراد القول ذو السلامة فظاهر الفرق، فإنهم قالوا قولًا ذا سلام، وقال لهم إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَـٰمٌ﴾ أي قولكم ذو سلام وأنتم قوم منكرون فالتبس الأمر علي، وإن قلنا المراد أمر مسالمة ومتاركة وهم سلموا عليه تسليمًا، فنقول

فيه جمع بين أمرين: تعظيم جانب الله، ورعاية قلب عباد الله، فإنه لو قال: سلام عليكم وهو لم يعلم كونهم من عباد الله الصالحين كان يجوز أن يكونوا على غير ذلك، فيكون الرسول قد أمنهم، فإن السلام أمان وأمان الرسول أمان المرسل فيكون فاعلًا للأمر من غير إذن الله نيابة عن الله فقال: أنتم سلمتم علي وأنا متوقف أمري متاركة لا تعلق بيننا إلى أن يتبين الحال.

ويدل على هذا هو أن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال في مثل هذا المعنى للنبي ﷺ: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ﴾ ولم يقل قل سلامًا، وذلك لأن الأخيار المذكورين في القرآن لو سلموا على الجاهلين لا يكون ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم.

وأما النبي ﷺ لو سلم عليهم لصار ذلك سببًا لحرمة التعرض إليهم، فقال: قل سلام أي أمري معكم متاركة تركناه إلى أن يأتي الله بأمر.

وأما على قولنا بمعنى نبلغ سلامًا فنقول هم لما قالوا نبلغك سلامًا ولم يعلم إبراهيم عليه السلام أنه ممن قال سلام أي إن كان من الله فإن هذا منه قد ازداد به شرفي وإلا فقد بلغني منه سلام وبه شرفي ولا أتشرف بسلام غيره، وهذا ما يمكن أن يقال فيه. والله أعلم بمراده والأول والثاني عليهما الاعتماد فإنهما أقوى وقد قيل بهما.

❁❁❁

س: على أي أساس رفع قوله: ﴿مُّنكَرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

ورُفِعَ ﴿مُّنكَرُونَ﴾ بإضمار أنتم.

❁❁❁

س: يؤخذ من قصة إبراهيم عليه السلام مع أضيافه مشروعية تعريف القادم بنفسه وضح ذلك مع مزيد من الأدلة إن وجدت؟

ج: إيضاحه من قول الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي سلام عليكم فأنتم قوم منكرون فأحب أن تعرِّفوني بأنفسكم.

وفي الباب من الأدلة: مجيء القوم من ربيعة إلى النبي ﷺ وقولهم له إنَّا هذا الحي من ربيعة لا نستطيع أن نصل إليك إلا في الشهر الحرام، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «من القوم؟ أو من الوفد؟».



س: هل وردت لهؤلاء الملائكة أسماء؟

ج: لم ترد تسميتهم في كتابٍ أو في سُنةٍ فيما علمت وقد ذكر الحافظ ابن كثير وغيره أنهم جبريل وإسرافيل وميكائيل، قال: قدموا عيه في صور شباب حسان عليهم مهابة عظيمة.

وقوله هذا في تسميتهم يفتقر إلى الدليل، والله أعلم.



س: ما صحة الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ في شأن البقرة: «لحومها داء»؟

ج: هذه اللفظة ضعيفةٌ منكرةٌ.

أما نكارتها: فلأن الله سبحانه وتعالى أنزل الأنعام الثمانية ومنها البقر للناس وأحلها لهم، والله يحل للبشر الطيبات.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖ﴾ [الزمر:٦]، وقال تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ...﴾ [الأنعام:١٤٣]، وفيها: ﴿وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [الأنعام:١٤٤].

أيضًا فقد قرّب إبراهيم عليه السلام لأضيافه عجلًا سمينًا، وكذلك فإن النبي ﷺ ضحّى عن نسائه بالبقر[١].

أما عن ضعف السند:

فقد أخرج الحديث الحاكم[٢] في المستدرك وفي سنده سيف بن مسكين وهو كذاب.

ووردت للحديث طريق أخرى فيها ضعف وجهالة.

❁❁❁

س: هل من فائدة في التقييد بقوله تعالى: ﴿سَمِينٍ﴾؟

ج: نعم، وفائدة ذلك بيان زيادة الإكرام.

❁❁❁

س: هل هناك تعارض بين قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وفي الآية الأخرى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾؟

ج: لا تعارض بين الآيتين، فقوله ﴿سَمِينٍ﴾ وصف للعجل وقوله ﴿حَنِيذٍ﴾ بيان لطريقة الطهي.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ كلام متروك استغني بدلالة الظاهر عليه وضح ذلك؟

ج: هذا الكلام المتروك ـ والله أعلم ـ هو فلم يأكلوا ـ أو فأمسكوا عن الطعام ـ فيكون المعنى فقربه إليهم قائلاً ألا تأكلون فأمسكوا عن الطعام فأوجس منهم

---

(١) البخاري (٥٥٤٨)، ومسلم في طرق حديث (١٢١١).

(٢) الحاكم (٤/ ٤٠٤).

خيفة لكونهم أمسكوا عن الطعام.



س: وضح الأدب المستفاد من قول الخليل إبراهيم عليه السلام للأضياف: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾.

ج: هذا تلطف في العبارة وحُسنٌ في العرض، فكأنه قال: ألا تتفضلون علينا بالأكل من طعامنا، فأكلكم من طعامنا يُسعدنا، والمنة منكم علينا إذا أكلتم طعامنا.

وهذا يختلف بلا شكٍّ عن رجل قال تعال أطعمك.

❁❁❁

س: لماذا أوجس إبراهيم عليه السلام في نفسه خيفة من الأضياف؟

ج: ذلك ـ والله أعلم ـ لكونه رآهم لا يأكلون ففي الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠] ومن المعهود أن الرجل إذا دخل عند قوم فأكل عندهم اطمأنوا إليه واستأنسوا به، أما إذا دخل عندهم فلم يأكل فكأنه يُضمر لهم شرًّا، وعندنا في المثل المِصري: (أكلنا سويًّا عيشًا وملحًا) وهذا دالٌّ فيما يبدو على أن الأكل سويًّا يستلزم وفاءً لا غدرًا.

ولكن الملائكة لم تكن تضمر شرًّا لإبراهيم عليه السلام، ولكن لكونهم ملائكة فإنهم لا يأكلون.

❁❁❁

س: من قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ يؤخذ أدب من آداب التعامل مع الناس، وضح هذا الأدب، مع مزيد من الاستدلالات له؟

ج: إيضاحه أن الشخص إذا وجد من أمامه خائفًا شُرع له أن يطمئنه ويجتهد في إذهاب الروع عنه فالملائكة لما رأوا إبراهيم عليه السلام وما حلَّ به من الخوف والروع،

طمأنوه بقولهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بغلام عليم.

أما عن أدلةٍ أُخر في هذا الباب، فنحو ذلك في قصة الخَصْم الذين تسوروا المحراب: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ﴾.

وقد ورد في الباب أيضًا نهيُ النبي ﷺ عن ترويع المؤمنين[1].

وورد أيضًا نهي النبي ﷺ عن المرور في الأسواق بالسيوف التي سُلَّت من غمدها[2].

وورد أيضًا عنه ﷺ حديث: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه جادًّا ولا لاعبًا»[3].

❁❁❁

س: من هذا الغلام العليم الذي بُشِّر به إبراهيم عليه السلام، وما اسم امرأته هذه؟

ج: الظاهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أنه إسحاق، وقد دلَّ على ذلك سياق القصة المذكور في سورة هود، فقد قال تعالى: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١].

وهذا اختيار الطبري رحمه الله تعالى، وعلَّل ذلك بقوله: وإنما قلت عني به إسحاق لأن البشارة كانت بالولد من سارة وإسماعيل لهاجر لا لسارة.

أما امرأته فهي سارة عليها السلام.

❁❁❁

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٥٠٠٤)، وأحمد (٥/ ٣٦٢) بلفظ: لا يحل لمسلم أن يروع مسلمًا.

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٥)، ومسلم (٢٦١٥) من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «إذا مرَّ أحدكم في مسجدنا ـ أو في سوقنا ـ ومعه نبل فليمسك على نصالها ـ أو قال: فليقبض بكفِّه ـ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء».

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٥/ ٢٧٣) وعبد بن حميد (٤٣٦)، وأحمد في المسند (٤/ ٢٢١).

س: في بشارة الملائكة لإبراهيم عليه السلام نوع إعجاز وضحه، ووضح المستفاد منه؟

ج: إيضاحه أن الله سبحانه وتعالى بشَّر نبيه إبراهيم عليه السلام، وهو على الكبر، وزوجته كانت عاقرًا لا تلد طيلة شبابها ثم أصبحت عجوزًا فهي موانع ثلاث من الإنجاب كونها قد بلغت سنًّا لا تلد معه النساء، وكذلك فهي عقيم رحمها غير صالح للولادة، وزوجها شيخ كبير، ومع ذلك كله فقد بشرتها الملائكة بالغلام العليم، وقد كان ما بشروهما به، فهذا دال على قدرة الله عزَّ وجل هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى أن الشخص منَّا لا ينبغي أن ييأس من رَوْح الله، ولا أن يقنط من رحمته، بل عليه أن يدعو ربه ويدعوه ويدعوه ويواصل الدعاء، فيستجاب لأحدنا ما لم يستعجل كما قال النبي ﷺ[1].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - إنه هو الحكيم في تدبير خلقه، العليم بمصالحهم، وبما كان، وبما هو كائن. قاله الطبري.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم - هكذا قال ربك أي كما أخبرناك وقلنا لك قاله الطبري.

والمعنى أيضًا: أن الله الذي قدَّر ذلك وأمضاه فلا عجب في قدرة الله.

---

(١) أخرج البخاري في الدعوات باب (٢٢)، ومسلم (واللفظ له (جـ ١٧/ ٥١) مع النووي) من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت ربي فلم يستجب لي».

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه.

فهو سبحانه حكيم في أقواله وفي أفعاله، فهذا الغلام الذي بُشرت به سارة عليها السلام هو إسحاق كما قال تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ فهذا النبي الكريم إسحاق رزق بيعقوب ويعقوب رزق بالأسباط الأحد عشر الذين هم إخوة يوسف عليه السلام وكان عموم الأنبياء بعد إسحاق من ذرية يعقوب كما قاله عددٌ من العلماء ـ باستثناء نبينا محمد ﷺ ـ واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ أي جعل الله كلمة التوحيد باقية في نسل يعقوب عليه السلام.

أما قوله: ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ فالمراد ـ والله أعلم ـ: أنه عليم بكم وبنواياكم وبما تستحقون من الكرامة، وعليم بكل شيء. والله أعلم.

❁❁❁

س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف طائفة من الحِكم والفوائد والأحكام، وضح ذلك.

ج: ذَكر السعدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) طائفة من هذه الفوائد والحِكم فقال:

منها: أن من الحكمة، أن قص الله على عباده نبأ الأخيار والفجار، ليعتبروا بهم، وأين وصلت بهم الأحوال.

ومنها: فضيلة إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام حيث ابتدأ الله قصته بما يدل على الاهتمام بشأنها والاعتناء بها.

ومنها: مشروعية الضيافة، وأنها من سنن إبراهيم الخليل، الذي أمر الله محمدًا وأمته، أن يتبعوا ملته، وساقها الله في هذا الموضع، على وجه المدح له والثناء.

ومنها: أن الضيف يكرم بأنواع الإكرام، بالقول، والفعل، لأن الله وصف أضياف إبراهيم، بأنهم مكرمون، أي: أكرمهم إبراهيم. ووصف الله ما صنع بهم من الضيافة، قولًا وفعلًا، ومكرمون أيضًا عند الله.

ومنها: أن إبراهيم عليه السلام، قد كان بيته، مأوى للطارقين والأضياف، لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان، وإنما سلكوا طريق الأدب، في ابتداء السلام، فرد عليهم إبراهيم سلامًا، أكمل من سلامهم وأتم، لأنه أتى به جملة اسمية، دالة على الثبوت والاستمرار.

ومنها: مشروعية تعرف من جاء إلى الإنسان، أو صار له فيه نوع اتصال، لأن في ذلك، فوائد كثيرة.

ومنها: أدب إبراهيم ولطفه في الكلام، حيث قال: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: (أنكرتكم)، وبين اللفظين من الفرق، ما لا يخفى.

ومنها: المبادرة إلى الضيافة والإسراع بها، لأن خير البر عاجله، ولهذا بادر إبراهيم بإحضار قِرَى أضيافه.

ومنها: أن الذبيحة الحاضرة، التي قد أعدت لغير الضيف الحاضر، إذا جعلت له، ليس فيها أقل إهانة، بل ذلك من الإكرام، كما فعل إبراهيم عليه السلام، وأخبر الله أن ضيفه مكرمون.

ومنها: ما منَّ الله به على خليله إبراهيم، من الكرم الكثير، وكون ذلك حاضرًا لديه، وفي بيته مُعَدًّا، لا يحتاج إلى أن يأتي به من السوق، أو الجيران، أو غير ذلك.

ومنها: أن إبراهيم، هو الذي خدم أضيافه، وهو خليل الرحمن، وسيد من ضيَّف الضيفان.

ومنها: أنه قرَّبه إليهم في المكان الذي هم فيه. فلم يجعله في موضع ويقول لهم: (تفضلوا، أو ائتوا عليه) لأن هذا أيسر وأحسن.

ومنها: حسن ملاطفة الضيف في الكلام اللين، خصوصًا، عند تقديم الطعام إليه. فإن إبراهيم عرض عليهم عرضًا لطيفًا فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ولم يقل: (كلوا) ونحوه من الألفاظ، التي غيرها أولى منها، بل أتى بأداة العرض فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ فينبغي للمقتدي به أن يستعمل من الألفاظ الحسنة، ما هو المناسب واللائق بالحال، كقوله لأضيافه: (ألا تأكلون) أو: (ألا تتفضلون) أو (تشرفوننا وتحسنون إلينا) ونحو ذلك.

ومنها: أن من خاف من أحد، لسبب من الأسباب، فإن عليه أن يزيل عنه الخوف، ويذكر له ما يؤمّن روعه، ويسكّن جأشه.

كما قالت الملائكة لإبراهيم لما خافهم: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وأخبروه بتلك البشارة، السارة، بعد الخوف منهم.

ومنها: شدة فرح سارة ـ امرأة إبراهيم ـ حتى جرى منها ما جرى، من صك وجهها وصَرَّتها غير المعهود.

ومنها: ما أكرم الله به إبراهيم وزوجته سارة، من البشارة، بغلام عليم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهذه الآية انتظمت آداب الضيافة، فإنه جاء بطعامه من حيث لا يشعرون بسرعة، ولم يمتن عليهم أولًا فقال: (نأتيكم بطعام؟) بل جاء به بسرعة وخفاء، وأتى بأفضل ما وجد من ماله، وهو عجل فتي سمين مشوي، فقربه إليهم، لم يضعه. وقال: اقتربوا، بل وضعه بين أيديهم، ولم يأمرهم أمرًا يشق على سامعه بصيغة الجزم، بل قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾؟ على سبيل العرض والتلطف، كما يقول القائل اليوم: إن رأيت أن تتفضل وتحسن وتتصدق، فافعل.



س: في قصة إبراهيم عليه السلام مع الأضياف جملة من الثناءات على خليل الله إبراهيم عليه السلام، وضحها.

ج: ذكرها ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في «التفسير القيم» فقال:

ففي هذا ثناء على إبراهيم من وجوه متعددة:

أحدها: أنه وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد القولين: أنه بإكرام إبراهيم لهم، والثاني: أنهم المكرمون عند الله. ولا تنافي بين القولين: فالآية تدل على المعنيين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم. ففي هذا دليل على أنه ﷺ كان قد عُرف بإكرام الضيفان واعتياد قراهم. فصار منزله مضيفة مطروقًا لمن ورده، لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذان الداخل إليه دخوله. وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بالرفع. وهم سلموا عليه بالنصب. والسلام بالرفع أكمل. فإنه يدل على الجملة الإسمية الدالة على الثبوت والتجدد، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد. فإبراهيم حياهم بتحية أحسن من تحيتهم. فإن قولهم: ﴿سَلَٰمًا﴾ يدل على: سلمنا سلامًا وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ أي: سلام عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم منكرون، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول، وحذف فاعله، فقال: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: (إني أنكركم)، وهو أحسن في هذا المقام، وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه راغ إلى أهله ليحييهم بنُزُلهم. والروغان: هو الذهاب في اختفاء بحيث يكاد لا يشعر به. وهذا من كرم رب المنزل المضيِّف: أن يذهب في اختفاء بحيث

لا يعشر به الضيف، فيشق عليه ويستحي. فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام، بخلاف من يسمع ضيفه وهو يقول له، أو لمن حضر: مكانكم حتى آتيكم بالطعام، ونحو ذلك مما يوجب حياء الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله، فجاء بالضيافة. فدل على أن ذلك كان معدًّا عندهم مهيئًا للضيفان. ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه، أو يستقرضه.

الثامن: قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾ يدل على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: فأمر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه، ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجل كامل، ولم يأت ببضعة منه. وهذا من تمام كرمه ﷺ.

العاشر: أنه سمين لا هزيل، فمعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قربه إليهم بنفسه، ولم يأمر خادمه بذلك.

الثاني عشر: أنه قربه إليهم، ولم يقربهم إليه. وهذا أبلغ في الكرامة: أن تُجْلِسَ الضيف ثم تقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته، ولا تضع الطعام في ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ وهذا عَرْض وتلطف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا، أو مدوا أيديكم ونحوها. وهذا مما يعلم الناسُ بعقولهم حسنه ولطفه. ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تتصدق؟ أو ألا تجبر؟ ونحو ذلك.

الرابع عشر: أنه إنما عرض عليهم الأكل لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قدم إليهم الطعام أكلوا وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ﴿أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾ ولهذا أوجس منهم خيفة، أي أحسها

وأضمرها في نفسه، ولم يبدها لهم. وهو:

الوجه الخامس عشر: فإنهم لما امتنعوا من الأكل لطعامه خاف منهم، ولم يظهر لهم الخوف منهم، فلما علمت الملائكة منه ذلك قالوا: ﴿لَا تَخَفْ﴾ وبشروه بالغلام الحليم.

فقد جمعت هذه الآية آداب الضيافة التي هي أشرف الآداب، وما عداها من التكلفات التي هي تخلف وتكلف: إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم. وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا. فصلى الله على نبينا وعلى إبراهيم وعلى آلهما، وعلى سائر النبيين.

❀❀❀

س: ما فائدة ذِكر الطين هنا، وقد عُلم أن هناك ما هو أقوى من الطين؟

ج: قال بعض العلماء:

ذلك ليعلم أنها ليست حجارة الثلج والبرد النازلين من السماء، ولكنها حجارة من طين يتحجر كما قال تعالى: ﴿حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:٨٢].

وقال آخرون من العلماء:

هي الحجارة التي نراها وأصلها طين، وإنما تصير حجارةً بإحراق الشمس إياها على مر الدهور.

هذا، وقد قال بعض العلماء في تفسير السجيل:

إنه طين قد طُبخ بالنار حتى صار في صلابة الحجارة، والله تعالى أعلم.

❀❀❀

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

ج: قال الرازي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ فيه وجوه:

أحدها: مكتوب على كل واحد اسم واحد يقتل به.

ثانيها: أنها خلقت باسمهم ولتعذيبهم بخلاف سائر الأحجار فإنها مخلوقة للانتفاع في الأبنية وغيرها.

ثالثها: مرسلة للمجرمين لأن الإرسال يقال في السوائم يقال: أرسلها لترعى فيجوز أن يقول: سومها بمعنى أرسلها وبهذا يفسر قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران:١٤] إشارة إلى الاستغناء عنها وأنها ليست للركوب ليكون أدل على الغنى، كما قال: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ [آل عمران:١٤].

وقوله تعالى: ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ إشارة إلى خلاف ما يقول الطبيعيون إن الحجارة إذا أصابت واحدًا من الناس فذلك نوع من الاتفاق فإنها تنزل بطبعها يتفق شخص لها فتصيبه فقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي في أول ما خلق وأرسل إذا علم هذا فإنما كان ذلك على قصد إهلاك المسرفين.

فإن قيل: إذا كانت الحجارة مسومة للمسرفين فكيف قالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ﴾ مع أن المسرف غير المجرم في اللغة؟ نقول: المجرم هو الآتي بالذنب العظيم لأن الجرم فيه دلالة على العظم ومنه جرم الشيء لعظمة مقداره، والمسرف هو الآتي بالكبيرة، ومن أسرف ولو في الصغائر يصير مجرمًا لأن الصغير إلى الصغير إذا انضم صار كبيرًا، ومن أجرم فقد أسرف لأنه أتى بالكبيرة ولو دفعة واحدة فالوصفان اجتمعا فيهم.

لكن فيه لطيفة معنوية، وهي أن الله تعالى سومها للمسرف المصر الذي لا يترك الجرم والعلم بالأمور المستقبلة عند الله تعالى، يعلم أنهم مسرفون فأمر الملائكة بإرسالها عليهم، وأما الملائكة فعلمهم تعلق بالحاضر وهم كانوا مجرمون فقالوا: ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ﴾ نعلمهم ﴿مُّجْرِمِينَ﴾ لنرسل عليهم حجارة خلقت لمن لا يؤمن ويصر ويسرف ولزم من هذا علمنا بأنهم لو عاشوا سنين لتمادوا في الإجرام، فإن قيل اللام لتعريف

الجنس أو لتعريف العهد؟ نقول: لتعريف العهد أي: مسومة لهؤلاء المسرفين إذ ليس لكل مسرف حجارة مسومة، فإن قيل ما إسرافهم؟ نقول ما دل عليه قوله تعالى: ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الأعراف:٨٠] أي لم يبلغ مبلغكم أحد.

❁❁❁

س: بيتُ من الذي ذكر الله في كتابه إذ قال: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؟

ج: هو بيت نبي الله لوط عليه السلام ـ باستثناء امرأته ـ.



س: الكفر والفسق والظلم إذا تفشوا حلَّ العذاب على القوم جميعًا، وإن كان في أوساطهم من يؤمن بالله، وفي المقابل إذا كان الأغلب أهل خيرٍ وصلاح لا يضرهم وجود قلة منحرفة في أوساطهم إذا كانت الغلبة لأهل الخير والصلاح دلِّل على ذلك.

ج: أما الدليل على الأول فمنه ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، فمن ثَمَّ نزل العذاب عليهم وحلَّ البلاء بهم، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

وقول أم المؤمنين لرسول الله ﷺ: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث».

ومن الدليل على الثاني: قول الله ـ عز وجل ـ في الحديث القدسي: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».

ثم إن قرن النبي ﷺ كان خير قرن رغم ما فيه من أهل النفاق، لكن لما كانت

الغلبة للخير قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

قال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ فيه إشارة إلى أن الكفر إذا غلب والفسق إذا فشا لا تنفع معه عبادة المؤمنين، بخلاف ما لو كان أكثر الخلق على الطريقة المستقيمة وفيهم شرذمة يسيرة يسرقون ويزنون، وقيل في مثاله إن العالم كبدن ووجود الصالحين كالأغذية الباردة، والحارة، والكفار والفساق كالسموم الواردة عليه الضارة، ثم إ ن البدن إن خلا عن المنافع وفيه المضار هلك وإن خلا عن المضار وفيه المنافع طاب عيشة ونما، وإن وجد فيه كلاهما فالحكم للغالب. فكذلك البلاد والعباد.

والدلالة على أن المسلم بمعنى المؤمن ظاهرة، والحق أن المسلم أعم من المؤمن وإطلاق العام على الخاص لا مانع منه، فإذا سمي المؤمن مسلمًا لا يدل على اتحاد مفهوميهما، فكأنه تعالى قال: (أخرجنا المؤمنين فما وجدنا الأعم منهم إلا بيتًا من المسلمين)، ويلزم من هذا أن لا يكون هناك غيرهم من المؤمنين، وهذا كما لو قال قائل لغيره: من في البيت من الناس؟ فيقول له: ما في البيت من الحيوانات أحد غير زيد، فيكون مخبرًا له بخلو البيت عن كل إنسان غير زيد.

❁❁❁

س: احتج بهاتين الآيتين من لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام فما مدى صحة هذا الاستدلال؟

ج: أجاب على ذلك الحافظ ابن كثير:

احتج بهذه من ذهب إلى رأي المعتزلة، ممن لا يفرق بين مسمى الإيمان والإسلام، لأنه أطلق عليهم المؤمنين والمسلمين، وهذا الاستدلال ضعيف، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين، وعندنا أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس، فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حال.

❁❁❁

س: هل هناك فارق بين الإسلام والإيمان في هاتين الآيتين: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾؟

ج: قال بعض العلماء: لا فارق بينهما ها هنا.

وقال آخرون: بل الإيمان هنا على بابه يطلق على تصديق القلب، والإسلام على الانقياد الظاهر، وقد قدمنا مزيدًا لهذا في تفسير سورة الحجرات عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحُجُرات:١٤].

قال القرطبي رحمه الله:

والمؤمنون والمسلمون ها هنا سواء فجنس اللفظ لئلا يتكرر، كما قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]. وقيل: الإيمان تصديق القلب، والإسلام الانقياد بالظاهر، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا. فسماهم في الآية الأولى مؤمنين؛ لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم. وقد مضى الكلام في هذا المعنى في «البقرة» وغيرها. وقوله: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ [الحجرات: ١٤] يدل على الفرق بين الإيمان والإسلام وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم وغيره. وقد بيناه في غير موضع.

❁❁❁

س: أحيانًا يحل العذاب بالمؤمن المتواجد بين الظلمة، وأحيانًا يحفظه الله وينجيه دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على الأول ـ وهو أن العذاب قد يحِلُّ بالمؤمن مع سائر الظلمة ـ ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥].

وقوله ﷺ، وقد سئل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثر الخبث»[(١)].

وقوله ﷺ: «... يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم»[(٢)].

وعند الترمذي بسندٍ صحيح[(٣)] عن رسول الله ﷺ: «إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه».

أما الأدلة على إنجاء أهل الإيمان والانتقام من الظالمين فمنها ما يلي:

قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وذلك بالنسبة لمدائن قوم لوط قبل أن تُدمر، أخرج الله لوطًا وأهل بيته إلا امرأته.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٥].

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٥].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

ج: قال الحافظ ابن كثير

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: جعلناها عبرة. لما أنزلنا بهم من العذاب والنكال وحجارة السجيل، وجعل محلّتهم بحيرة منتنة خبيثة، ففي

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) أخرج البخاري (٢١١٨) من حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء (وهي الأرض الملساء) من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم». قالت: قلت يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟ قال:...فذكر الحديث.

(٣) أخرجه الترمذي (حديث ٢١٦٨).

ذلك عبرة للمؤمنين الذين ﴿يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾.

وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً﴾ أي عبرةً وعلامةً لأهل ذلك الزمان، ومن بعدهم، نظيره: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٣٥].

وقال الرازي: وقوله: ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي: المنتفع بها هو الخائف.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي في تلك القرى بعد إهلاك الكافرين ﴿ءَايَةً﴾ أي: علامة ودلالة تدل على ما أصابهم من العذاب. وهي تلك الأحجار أو صخر منضود أو ماء أسود منتن خرج من أرضهم أو آثار العذاب في تلك القرى فإنها ظاهرة بينة، وقيل: هذه الآية المتروكة نفس القرى الخربة.

﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ أي كل من يخاف عذاب الله ويخشاه من أهل ذلك الزمان ومن بعدهم، فلا يفعل مثل فعلهم وإنما خص هؤلاء لأنهم الذين يتعظون بالمواعظ، ويتفكرون في الآيات دون غيرهم، ممن لا يخاف ذلك، وهم المشركون المكذبون بالبعث، والوعد والوعيد.

❁❁❁

س: كثيرًا ما تُترك للمجرمين الذين انتقم الله منهم آثارٌ حتى يعتبر بها من اعتبر ويتذكر بها من تذكر. اذكر جملة أدلةٍ على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

قوله تعالى في شأن فرعون ـ لما أغرقه وأهلكه ـ: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس:٩٢].

وقوله تعالى في شأن قوم لوط وما حلَّ بهم وببلادهم: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ

﴿يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر:٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٧، ١٣٨].

وقوله تعالى في شأن قوم ثمود: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢].

وقوله تعالى في شأن أصحاب الأيكة مع قوم لوط أيضًا: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٩].

وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَـٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وأيضًا فقد ترك الله سبحانه وتعالى سفينة نبي الله، نوح عليه السلام ذكرى يتذكرها من تذكر وعبرة يراها من اعتبر ويستفيد منها من استفاد، لقد تركت دليلًا على إنجاء الله أهل الإيمان وانتقامه من أهل الكفر والعصيان، فقال تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر:١٥].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١].

❁❁❁

س: ما عقوبة من فَعل فِعلَ قوم لوط؟

ج: أولًا: قد ورد حديث عن رسول الله ﷺ أخرجه الترمذي وأبو داود

والبيهقي[١] وغيرهم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» لكنه معلول ومستنكر.

أما عن أقوال أهل العلم: فقد أوجزها الإمام الترمذي رحمه الله تعالى فقال: واختلف أهل العلم في حد اللوطيّ، فرأى بعضهم أن عليه الرجم أحصن أو لم يحصن، وهذا قول مالكٍ والشافعي وأحمد وإسحاق.

وقال بعض أهل العلم من فقهاء التابعين، منهم: الحسن البصري، وإبراهيم النخعي، وعطاء ابن أبي رباح، وغيرهم قالوا: حد اللوطي حد الزاني، وهو قول الثوري وأهل الكوفة.

وقال ابن قدامة في «المغني»[٢]:

واختلفت الرواية عن أحمد ـ رحمه الله ـ في حده؛ فرُوي عنه، أنَّ حده الرجم، بكرًا كان أو ثيبًا، وهذا قولُ عليّ، وابن عباس، وجابر بن زيد، وعبيد الله بن معمر، والزهريّ، وأبي حبيبٍ، وربيعة، ومالك، وإسحاق، وأحدُ قولي الشافعي. والروايةُ الثانية، أن حده حدُ الزاني. وبه قال سعيد بن المُسَيَّب، وعطاءٌ والحسنُ، والنَّخعي، وقتادة، والأوزاعي، وأبو يوسفَ، ومحمد بن الحسن، وأبو ثور، وهو المشهورُ من قولي الشافعي.



(١) أبو داود (حديث ٤٤٦٢)، والترمذي (١٤٥٥، ١٤٥٦) والبيهقي في السنن الكبرى (٨/ ٢٣٢).

(٢) ابن قدامة الحدود ص(٣٤٩).

﴿ وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ - وَهُوَ مُلِيمٌ - ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ - كَٱلرَّمِيمِ -

﴿فعتوا - الصاعقة - لموسعون - فرشناها - الماهدون - تذكرون - فتول عنهم فما أنت بملوم - وذكر - الرزاق - المتين - ذنوبا﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿وفي موسى﴾	في قصة موسى وما حدث لموسى عبرةٌ وعظةٌ.
﴿بسلطان مبين﴾	حجةٌ موضحةٌ مظهرةٌ.
﴿فتولى بركنه﴾	أدبر بقومه وجنده وصحبه أعرض استكبارًا وعنادًا[1]. وقيل: (غلب قومه على ما يريد).
﴿وهو مليم﴾	قد فعل ما يُلام عليه - ملومٌ كافر جاحد فاجر معاندٌ - مُذنب.
﴿الريح العقيم﴾	الريح التي لا تُلقح الشجر ولا تثير السُّحب. وقيل: الريح التي ليس فيها بركة - لا تنبت الريح المُفسدة التي لا تنتج شيئًا.
﴿كالرميم﴾	الشيء الهالك المتفتت، كرميم الشجر.
﴿فعتوا﴾	علوا، والعاتي: العاصي التارك لأمر الله.
﴿الصاعقة﴾	صاعقة العذاب - الموت - الصوت الشديد، وقيل: الصاعقة كل عذاب مهلك.
﴿لموسعون﴾	لذو سعةٍ وقدرة بخلقها وخلق ما شئنا. (وأوسعها الله جل جلاله) - لقادرون على توسعتها - قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمدٍ حتى إستقلت - لموسعون الرزق على عبادنا[2].

(١) وقوّى الحافظ ابن كثير هذا الوجه، وقال: هو كقوله تعالى: ﴿ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله﴾ [الحج:٩] أي معرض عن الحق مستكبر، والركن هو الجند والعشيرة ومنه: ﴿أو آوي إلى ركن شديد﴾.

(٢) قال السعدي في تفسيره: ﴿وإنا لموسعون﴾ لأرجائها وأنحائها، وإنا لموسعون أيضًا على عبادنا، بالرزق الذي ما ترك دابة في مهامه القفار، ولجج البحار، وأقطار العالم العلوي والسفلي، إلا وأوصل إليها من الرزق، ما يكفيها، وساق إليها من الإحسان ما يغنيها.

﴿فَرَشْنَٰهَا﴾	جعلناها فراشًا للمخلوقات.
﴿ٱلْمَٰهِدُونَ﴾	المهدون، جعلناها مهدًا لأهلها أي: ميسرة لساكنيها كالفراش.
﴿تَذَكَّرُونَ﴾	تتعظون ـ تعتبرون.
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾	فأعرض عنهم.
﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾	لا يلومك ربك على تفريط كان منك، فما فرطت بل أنذرت وبلغت ما أرسلت به[1]. لا نلومك على توليك عنهم.
﴿وَذَكِّرْ﴾	عِظ.
﴿ٱلرَّزَّاقُ﴾	المتكفل برزق خلقه وأقواتهم.
﴿ٱلْمَتِينُ﴾	الشديد، وقيل الذي لا يُغلب ولا يقهر ولا يُهزم[2].
﴿ذَنُوبًا﴾	الذنوب يطلق على الدلو العظيمة. ولكن المراد هنا الحظ والنصيب من العذاب. وقيل سجلًا من العذاب[3].



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ﴾.

ج: المعنى، والمراد ـ والله أعلم ـ: وفي قبيلة عادٍ وما حلَّ بها عبرةٌ وعظةٌ وآية لمن أراد الاتعاظ والاعتبار.



(١) قاله الطبري.

(٢) ذكر بعض العلماء فارقًا بين المتين، والعزيز في المعنى حاصله أن المتين الذي لا يُقهر ولا يهزم ولا يغلب أما العزيز فهو الذي يقهر ويهزم ويغلب. فالله أعلم.

(٣) صح ذلك عن قتادة وسعيد بن جبير وغيرهما. انظر الطبري (٣٢٢٧٢)، (٣٢٢٧٦).

س: ما اسم الريح التي أُهلكت بها قبيلة عادٍ؟

ج: اسمها (الدَّبُور) ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «نُصرت بالصبا، وأهلكت عادٌ بالدبور»[(١)].

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: وفي قبيلة ثمود، وما حلَّ بها عبرةٌ وعظة لمن اعتبر واتعظ.

أما قوله: ﴿تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يعني ـ والله أعلم ـ: عيشوا متمتعين بالدنيا إلى وقت فناء آجالكم وانتهاء أعماركم ووقت هلاككم، وهو ثلاثة أيام منذ أنذرهم هذا الإنذار كما في الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[هود:٦٥].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

﴿وَفِى ثَمُودَ﴾ آية أيضًا ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه قيل لهم: تمَتَّعوا في الدُّنيا إلى وقت انقضاء آجالكم تهديدًا لهم.

والثاني: أن صالحًا قال لهم بعد عَقْر النَّاقة: تمَتَّعوا ثلاثة أيام: فكان الحِين وقت فناء آجالهم.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾.

ج: أخرج الطبري من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد[(٢)] قال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ وهم ينتظرون، وذلك أن ثمود وُعِدَت العذاب قبل نزوله بهم بثلاثة أيام

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣٥).

(٢) الطبري (٣٢٢٤٠)، وفي رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير كلام.

وجُعل لنزوله عليهم علامات في تلك الثلاثة، فظهرت العلامات التي جُعلت لهم الدالة على نزوله في تلك الأيام، فأصبحوا في اليوم الرابع موقنين بأن العذاب بهم نازل ينتظرون حلوله بهم.

قال الرازي رحمه الله:

والصاعقة فيها وجهان ذكرناهما هنا:

أحدهما: أنها الواقعة.

والثاني: الصوت الشديد، وقوله: ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ إشارة إلى أحد معنيين: إما بمعنى تسليمهم وعدم قدرتهم على الدفع، كما يقول القائل للمضروب يضربك فلان وأنت تنظر. إشارة إلى أنه لا يدفع، وإما بمعنى أن العذاب أتاهم لا على غفلة بل أنذروا به من قبل بثلاثة أيام وانتظروه، ولو كان على غفلة لكان لمتوهم أن يتوهم أنهم أخذوا على غفلة أخذ العاجل المحتاج، كما يقول المبارز الشجاع أخبرتك بقصدي إياك فانتظرني.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾.

ج: المعنى - والله أعلم -: أن القوم لما حلَّ بهم ما حلَّ ما استطاعوا نهوضًا، وما كانت عندهم من قوةٍ يمتنعون بها من الله عزَّ وجل.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ أي: من هربٍ ولا نهوض، ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ولا يقدرون على أن ينتصروا مما هم فيه.

قال القرطبي رحمه الله

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ﴾ قيل: معناه من نهوض. وقيل: ما أطاقوا أن يستقلوا بعذاب الله وأن يتحملوه ويقوموا به ويدفعوه عن أنفسهم؛ تقول: لا أقوم لهذا الأمر

أي: لا أطيقه. وقال ابن عباس: أي: ذهبت أجسامهم وبقيت أرواحهم في العذاب.

﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ممتنعين من العذاب حين أهلكوا، أي: ما كان لهم ناصر.

وقال الرازي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٍ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لبيان عجزهم عن الهرب والفرار على سبيل المبالغة، فإن من لا يقدر على قيام كيف يمشي فضلًا عن أن يهرب؟ وعلى هذا فيه لطائف لفظية:

إحداها: قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ فإن الاستطاعة دون القدرة، لأن في الاستطاعة دلالة الطلب وهو ينبئ عن عدم القدرة والاستقلال، فمن استطاع شيئًا كان دون من يقدر عليه، ولهذا يقول المتكلمون: الاستطاعة مع الفعل أو قبل الفعل إشارة إلى قدرة مطلوبة من الله تعالى مأخوذة منه وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ على قراءة من قرأ بالتاء. وقوله: ﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ﴾ أبلغ من قول القائل ما قدروا على قيام.

ثانيها: قوله تعالى: ﴿مِن قِيَامٍ﴾ بزيادة من، وقد عرفت ما فيه من التأكيد.

ثالثها: قوله: ﴿قِيَامٍ﴾ بدل قوله هرب لما بينا أن العاجز عن القيام أولى أن يعجز عن الهرب.

الوجه الثاني: هو أن المراد (من قيام) القيام بالأمر، أي: ما استطاعوا من قيام به.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ﴾ أي: ما استطاعوا الهزيمة والهرب، ومن لا يقدر عليه، يقاتل وينتصر بكل ما يمكنه لأنه يدفع عن الروح وهم مع ذلك ما كانوا منتصرين، وقد عرفت أن قول القائل: ما هو بمنتصر أبلغ من قوله ما انتصر ولا ينتصر والجواب ترك مع كونه يجب تقديره وقوله (ما انتصر) أي لشيء من شأنه ذلك، كما تقول: فلان لا ينصر أو فلان ليس ينصر.

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ يحتمل وجوهًا:

أحدها: واذكر لهم قوم نوح الذين أرسلنا إليهم نوحًا.

الثاني: وأهلكنا هذه الأمم التي قدمنا ذكرها، وأهلكنا قوم نوحٍ من قبل هؤلاء أيضًا.

أما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ فمعناه أنهم كانوا قومًا مخالفين أمر الله عزَّ وجل خارجين عن طاعته.

❁❁❁

س: استدل بعض العلماء ببعض الآيات من سورة الذاريات على أن الله عزَّ وجل يعذِّب بما قد يكون في أصله رحمة في الظاهر، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن الله عزَّ وجل عذب فرعون بالإغراق في الماء، والماء سبب عظيم من أسباب الحياة، وعذب قوم عادٍ بالريح والريح (التي هي الهواء) سبب من أسباب الحياة، وعذب قوم لوط بحجارة من سجيل، والسجيل الطين، والطين سبب من أسباب الحياة، وعذب قوم ثمود بالصاعقة التي هي من النار (على قولٍ) وهي سبب من أسباب الحياة كذلك.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾.

ج: أورد الطبري[1] ـ رحمه الله تعالى ـ بإسنادٍ صحيح عن منصور أنه قال في هذه الآية: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ قال: بقوة.

---

(١) الطبري (٣٢٢٤٨).

وكذا بإسنادٍ[١] صحيح عن ابن زيد قال: بقوةٍ.

ونحوه أيضًا بإسنادٍ[٢] حسن عن قتادة ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾: أي بقوة.

وكذا من طريق[٣] ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: بقوة.

ونحوه بإسناد فيه بعض الضعف عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بقوة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا﴾ أي: جعلناها سقفًا رفيعًا ﴿بِأَيۡيْدٍ﴾ أي: بقوة وكل هذا الذي أوردوه لا ينفي صفة اليد عن الله عزَّ وجل فهي ثابتة من وجوه أُخر، ومن نُصوص أُخر، والله تعالى أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾.

ج: قال السعدي في تفسيرها:

﴿وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا﴾ أي: جعلناها فراشًا للخلق، يتمكنون فيها من كل ما تتعلق به مصالحهم، من مساكن، وغراس، وزرع، وحرث، وجلوس، وسلوك للسبل الموصلة إلى مقاصدهم ومآربهم. ولما كان الفراش، قد يكون صالحًا للانتفاع من كل وجه، وقد يكون من وجه دون وجه، أخبر تعالى أنه مهدها أحسن مهاد، على أكمل الوجوه وأحسنها.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ﴾.

ج: قال بعض أهل العلم: المراد الشيئين المختلفين، قالوا: فمن ذلك الإيمان والكفر، والشقاوة والسعادة والهدى والضلالة، والليل والنهار والسماء والأرض

---

(١) الطبري (٣٢٢٥١).

(٢) الطبري (٣٢٢٤٧).

(٣) الطبري (٣٢٢٤٦).

والشمس والقمر، والإنس والجن إلى غير ذلك.

والقول الآخر أن المراد بالزوجين الذكر والأنثى، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم:٤٥].

وقد اختار الطبري رحمه الله تعالى القول الأول فقال:

وأولى القولين في ذلك قول مجاهد، وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكل ما خلق من خلقه ثانيًا له مخالفًا في معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين. وإنما نبه جلَّ ثناؤه بذلك من قوله على قُدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كل ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعله من الأشياء المختلفة والمتفقة.

وهو الوجه الذي ذكره ابن كثير ولم يذكر رأيًا سواه فقال: جميع المخلوقات أزواج سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضياء وظلام، وإيمان وكفر، وموت وحياة، وشقاء وسعادة، وجنة ونار، حتى الحيوانات والنباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن الخالق واحدٌ لا شريك له.

وإلى نحو ذلك ذهب القرطبي رحمه الله تعالى فقال:

قوله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي: صنفين ونوعين مختلفين. قال ابن زيد: أي ذكرًا وأنثى وحُلوًا وحامضًا ونحو ذلك. مجاهد: يعني الذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والليل والنهار، والنور والظلام، والسهل والجبل، والجنّ والإنس، والخير والشر، والبُكرة والعشيّ، وكالأشياء المختلفة الألوان من الطُّعوم والأرابيح والأصوات. أي: جعلنا هذا كهذا دلالة على قدرتنا، ومن قدر على هذا فليقدر على الإعادة.

وقيل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يقدّر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء؛ إذ عز وجل وتر ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: لعلكم تتعظون وتعتبرون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه، وابتداع زوجين من كلّ شيء لا ما لا يقدر على ذلك.

وقال السعدي رحمه الله:

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ لنعم الله التي أنعم بها عليكم في تقدير ذلك وحكمته حيث جعل ما هو السبب لبقاء نوع الحيوانات كلها، لتقوموا بتنميتها وخدمتها وتربيتها فيحصل من ذلك ما يحصل من المنافع. فلما دعا العباد إلى النظر إلى آياته الموجبة لخشيته، والإنابة إليه، أمر بما هو المقصود من ذلك، وهو الفرار إليه. أي: الفرار مما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا، إلى ما يحبه. ظاهرًا وباطنًا، فرار من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى الذكر. فمن استكمل هذه الأمور، فقد استكمل الدين كله، وزال عنه المرهوب، وحصل له غاية المراد والمطلوب. وسمى الله الرجوع إليه، فرارًا، لأن في الرجوع إلى غيره، أنواع المخاوف والمكاره. وفي الرجوع إليه، أنواع المحاب والأمن، والسرور والسعادة والفوز. فيفر العبد من قضائه وقدره، إلى قضائه وقدره، وكل من خفت منه فررت منه إلى الله تعالى، فإنه بحسب الخوف منه، يكون الفرار إليه.



س: جعل الله تبارك وتعالى للعباد أمورًا يتذكرون بها ويتعظون، بيِّن هذه الأمور.

ج: من هذه الأمور ما يلي:

ما ذكره الله تعالى في هذه السورة إذ قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وما ذكره الله في سورة الواقعة إذ جعل نار الدنيا تذكرةً بنار الآخرة، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة:٧١-٧٣] أي تذكرة بنار الآخرة.

وما ذكره الله في سورة الفرقان إذ قال في شأن السحب والمطر: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟﴾ [الفرقان:٥٠] أي: ليتعظوا ويعتبروا بتصريف الأمطار.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: فاهربوا أيها الناس من عقاب الله إلى رحمته بالإيمان به، واتباع أمره، والعمل بطاعته ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ﴾ يقول: إني لكم من الله نذير أنذركم عقابه، وأخوفكم عذابه الذي أحله بهؤلاء الأمم الذين قصَّ عليكم قصصهم، والذي هو مذيقهم في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: الجئوا إليه واعتمدوا في أموركم عليه.

وقال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ لما تقدّم ما جرى من تكذيب

أممهم لأنبيائهم وإهلاكهم؛ لذلك قال الله تعالى: لنبيه ﷺ قل لهم يا محمد؛ أي: قل لقومك: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: فِرُّوا من معاصيه إلى طاعته. وقال ابن عباس: فِروا إلى الله بالتوبة من ذنوبكم. وعنه: فِرُوا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ اخرجوا إلى مكة. وقال الحسين بن الفضل: احترزوا من كل شيء دون الله فمن فرّ إلى غيره لم يمتنع منه. وقال أبو بكر الورَّاق: فِروا من طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن. وقال الجُنَيد: الشيطان داعٍ إلى الباطل ففروا إلى الله يمنعكم منه. وقال ذو النون المصري: فِفرُّوا من الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر. وقال عمرو بن عثمان: فرّوا من أنفسكم إلى ربكم. وقال أيضًا: فروا إلى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم. وقال سهل بن عبد الله: فِرُّوا مما سوى الله إلى الله. ﴿إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ أي: أنذركم عقابه على الكفر والمعصية.



س: قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مِن مَن نفر؟

ج: قيل الفرار من العذاب، وقيل: الفرار من الشيطان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[يوسف:٥].

ولقد قال النبي ﷺ: «أَنذرتُكمُ النارَ...».

وقيل: الفرار من كل ما سوى الله عزَّ وجل، فنفر إلى الله من كل عدوٍّ.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ يقول جل ثناؤه: ولا تجعلوا أيها الناس

مع معبودكم الذي خلقكم معبودًا آخر سواه، فإنه لا معبود تصلح له العبادة غيره ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يقول: إني لكم ـ أيها الناس ـ نذير من عقابه على عبادتكم إلهًا غيره، مبين قد أبان لكم النذارة.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: أي: لا تشركوا به شيئًا.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: وكما أن قريشًا كذَّبتك وقالت شاعر أو ساحر أو مجنون، فكذلك فعلت الأمم من قبلها فكلُّ أُمةٍ جاءها رسول قالت له ساحر أو مجنون.

❁❁❁

س: في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ نوع مواساة للنبي ﷺ، وضح ذلك.

ج: إيضاحه أن النبي ﷺ إذا علم أن الذي أصيب به من قومه قد أُصيب به الأنبياء من قبله من أقوامهم وعلم أن العاقبة كانت للتقوى، فحينئذٍ سيصبر كما صبروا تأسيًا واقتداءً وامتثالاً.

ولذا فقد قال تعالى في آيات أُخر: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾، وقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾.

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ: أأوصى الكفار بعضهم بعضًا إذا جاءهم رسول

عليهم أن يصفوه بأنه ساحر أو مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أأوصى هؤلاء المكذّبين من قريش محمدًا ﷺ ـ على ما جاءهم به من الحق ـ: أوائلُهم وآبائهم الماضون من قبلهم تكذيب محمد ﷺ، فقبلوا ذلك عنهم؟

وأورد بأسانيد تصح عن قتادة[1] قال: أوصى أولاهم أُخراهم بالتكذيب.

وقال القرطبي رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب. وتواطئوا عليه؛ والألف للتوبيخ والتعجب. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لم يوصِ بعضهم بعضًا بل جَمعهم الطغيان، وهو مجاوزة الحدِّ في الكفر.

وقال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

قوله تعالى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ﴾ أي: أوْصى أوَّلُهم آخرَهم بالتكذيب؟ وهذا استفهام توبيخ وقال أبو عبيدة: أتواطئوا عليه فأخذه بعضُهم من بعض؟!

قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: يحملُهم الطُّغيان فيما أُعطوا من الدُّنيا على التكذيب؛ والمشار إليهم أهل مكة.

قال السعدي رحمه الله:

يقول الله ـ مسليًا لرسوله ﷺ ـ عن تكذيب المشركين بالله، المكذبين له، القائلين فيه من الأقوال الشنيعة، ما هو منزه عنه، وأن هذه الأقوال، ما زالت دأبًا وعادة للمجرمين المكذبين للرسل فما أرسل الله من رسول، إلا رماه قومه بالسحر أو الجنون. يقول الله تعالى: هذه الأقوال التي صدرت منهم ـ الأولين والآخرين ـ هل هي أقوال

---

(١) الطبري (٣٢٢٥٥، ٣٢٢٥٦).

مع تَوا بها، ولقن بعضهم بعضًا؟.

فلا يستغرب ـ بسبب ذلك ـ اتفاقهم عليها: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ تشابهت قلوبهم أعمالهم بالكفر والطغيان، فتشابهت أقوالهم الناشئة عن طغيانهم؟

وهذا هو الواقع، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨] وكذلك المؤمنون، لما تشابهت قلوبهم بالإذعان للحق وطلبه، والسعي فيه بادروا إلى الإيمان برسلهم وتعظيمهم، وتوقيرهم، وخطابهم بالخطاب اللائق بهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أوصى هؤلاء المشركون آخرهم بذلك، ولكنهم قوم متعدّون طغاة عن أمر ربهم، لا يأتمرون لأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: لكن هم قوم طغاةٌ تشابهت قلوبهم فقال متأخرهم كما قال متقدمهم.

قلت ـ مصطفى ـ: والذي يبدو لي ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ ليس نفيًا لكون بعضهم قد أوصى بعضًا، وإنما المراد بيان أن هؤلاء قوم طاغون ـ والله أعلم ـ.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فأعرض يا نبي الله عن هؤلاء القوم المكذبين المعاندين

فلا لوم عليك، ولا عتب عليك، فقد أديت ما أُمرت به من البلاغ والإنذار.

قال الطبري رحمه الله: يقول جل ثناؤه: فما أنت يا محمد بملومٍ لا يلومك ربك على تفريط كان منك في الإنذار فقد أنذرت وبلَّغت ما أُرسِلْتَ به.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن ابن زيد قال: قد بلغت ما أرسلناك به، فلست بملومٍ، قال: وكيف يلومه وقد أدى ما أمر به؟

قال القاسمي في «محاسن التأويل»:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: أعرض عن مقابلتهم بالأسوأ، كقوله تعالى: ﴿وَدَعْ أَذَىٰهُمْ﴾ [الأحزاب:٤٨] وقوله: ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل:١٠] ﴿فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي: في إعراضهم، إذ لست عليهم بجبار ولا مسيطر، وما عليك من حسابهم من شيء.

❁❁❁

س: هل قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ منسوخ أو محكم؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان:

أحدهما: أنها محكمة ليست بمنسوخة، ومعناها فأعرض عنهم فلا لوم عليك ما دمت قد أديت ما عليك من البلاغ.

والثاني: أنها منسوخة، وذلك لأن النبي ﷺ أمر بقتال المشركين بعد ذلك.

والظاهر أنها ليست بمنسوخة لأن الإعراض عنهم من بابٍ معين، وهو رفع اللوم عن النبي ﷺ إذا لم يؤمنوا، أما الأمر بالقتال فبابٌ آخر وتكليف آخر، فليس الأمر بالإعراض عنهم مستلزمًا النهي عن قتالهم، بل يمكن الإعراض عنهم في الخطاب والحديث والدعوة، وقتالهم مع هذا الإعراض أيضًا وإن كان ـ كما سلف ـ هناك من أهل العلم من ذهب إلى أنها منسوخة.

قال ابن الجوزي رحمه الله في «زاد المسير»:

﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾ فقد بلَّغتهم ﴿فَمَآ أَنتَ﴾ عليهم ﴿بِمَلُومٖ﴾ لأنَّك قد أدَّيت الرِّسالة. ومذهب أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة ولهم في ناسخها قولان:

أحدهما: أنه قوله: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

والثاني: آية السيف.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ﴾ ذكِّر بماذا؟

ج: ذكِّر بالقرآن وما فيه، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾، وقيل: ذكِّر بالعقوبات وما حلَّ بالأمم من قبلنا، والأول أولى لأن التذكير بالقرآن يتضمن التذكير بالعقوبات.

❁❁❁

س: التذكير يكون بماذا؟

ج: التذكير يكون بالله عزَّ وجل وبأسمائه وصفاته، ويكون كذلك بكتابه الكريم، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

وقوله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [الأنعام:٧٠].

ويكون التذكير أيضًا بسنة رسول الله ﷺ ويكون التذكير بمصارع الأمم السابقة وما حلَّ بها.

قال السعدي في تفسيره:

والتذكير نوعان: تذكير بما لم يعرف تفصيله، مما عرف مجمله بالفطر والعقول. فإن الله فطر العقول على محبة الخير وإيثاره، وكراهة الشر والزهد فيه، وشرعه موافق لذلك. فكل أمر ونهي من الشرع، فهو من التذكير. وتمام التذكير، أن يذكر ما في

المأمور، من الخير والحسن والمصالح وما في المنهي عنه، من المضار.

والنوع الثاني من التذكير: تذكير بما هو معلوم للمؤمنين، ولكن انسحبت عليه الغفلة والذهول، فيُذَكَّرُون بذلك، ويكرر عليهم ليرسخ في أذهانهم، وينتبهوا ويعملوا بما تذكروه من ذلك، وليُحدِث لهم نشاطًا وهمة، توجب لهم الانتفاع والارتفاع.

❁❁❁

س: هل لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ اتصالٌ بما قبلها؟

ج: نعم لها اتصال، ذكره الرازي فقال:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وهذه الآية فيها فوائد كثيرة، ولنذكرها على وجه الاستقصاء، فنقول أما تعلقها بما قبلها فلوجوه:

أحدها: أنه تعالى لما قال: ﴿وَذَكِّرْ﴾ يعني أقصى غاية التذكير وهو أن الخلق ليس إلا للعبادة، فالمقصود من إيجاد الإنسان العبادة فذكرهم به وأعلمهم أن كل ما عداه تضييع للزمان.

الثاني: هو أنا ذكرنا مرارًا أن شغل الأنبياء منحصر في أمرين عبادة الله وهداية الخلق، فلما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ بين أن الهداية قد تسقط عند اليأس وعدم المهتدي، وأما العبادة فهي لازمة والخَلْق المطلق لها وليس الخَلْق المطلق للهداية. فما أنت بملوم إذا أتيت بالعبادة التي هي أصل إذا تركت الهداية بعد بذل الجهد فيها.

الثالث: هو أنه لما بين حال من قبله من التكذيب، ذكر هذه الآية ليبين سوء صنيعهم حيث تركوا عبادة الله فما كان خلقهم إلا للعبادة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

ج: في ذلك وجوه ذكرها العلماء، وبعضها متقاربٌ من بعض:

أحدها: وما خلقت السعداء من الجن والإنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم لمعصيتي.

الثاني: وما خلقت الجن والإنس إلا ليذعنوا لي بالعبادة أي إلا ليقروا لي بعبوديتهم لي طوعًا أو كرهًا.

الثالث: وما خلقت الجن والإنس إلا لعبادتي ولكن منهم من أطاعني ومنهم من خالف أمري وعصاني.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ: ومعنى الآية أنه تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن أطاعه جازاه أتم الجزاء، ومن عصاه عذبه أشد العذاب.

واختار الطبري القول الثاني، وأورد على نفسه سؤالًا فقال:

فإن قال قائل: فكيف كفروا وقد خلقهم للتذلل لأمره؟ قيل: إنهم قد تذللوا لقضائه الذي قضاه عليهم، لأن قضاءه جار عليهم. لا يقدرون من الامتناع منه إذا نزل بهم، وإنما خالفه من كفر به في العمل بما أمره به، فأما التذلل لقضائه فإنه غير ممتنع منه.

❁❁❁

س: لماذا لم تُذكر الملائكة مع أنها خلقت للعبادة كذلك، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾؟

ج: ذلك لأن الخطاب لمن أُرسل إليهم رسول الله ﷺ وهم الجن والإنس، أما الملائكة فلم يرسل إليهم رسول الله ﷺ، والله أعلم.

هذا، وقد ذكر الرازي جملةً من الوجوه ها هنا فقال:

الملائكة أيضًا من أصناف المكلفين ولم يذكرهم الله مع أن المنفعة الكبرى في إيجاده لهم هي العبادة ولهذا قال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦] وقال تعالى:

﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ فما الحكمة فيه؟ نقول: الجواب عنه من وجوه:

الأول: قد ذكرنا في بعض الوجوه أن تعلق الآية بما قبلها بيان قبح ما يفعله الكفرة من ترك ما خلقوا له، وهذا مختص بالجن والإنس لأن الكفر في الجن أكثر، والكافر منهم أكثر من المؤمن لما بينا أن المقصود بيان قبحهم وسوء صنيعهم.

الثاني: هو أن النبي ﷺ كان مبعوثًا إلى الجن، فلما قال وذكرهم ما يذكر به وهو كون الخلق للعبادة خص أمته بالذكر أي ذكر الجن والإنس.

الثالث: أن عباد الأصنام كانوا يقولون بأن الله تعالى عظيم الشأن خلق الملائكة وجعلهم مقربين فهم يعبدون الله وخلقهم لعبادته ونحن لنزول درجتنا لا نصلح لعبادة الله فنعبد الملائكة وهم يعبدون الله، فقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ولم يذكر الملائكة لأن الأمر فيهم كان مسلّمًا بين القوم فذكر المتنازع فيه.

الرابع: قيل الجن يتناول الملائكة لأن الجن أصله من الاستتار وهم مستترون عن الخلق، وعلى هذا فتقديم الجن لدخول الملائكة فيهم وكونهم أكثر عبادة وأخلصها.

الخامس: قال بعض الناس كلما ذكر الله الخلق كان فيه التقدير في الجرم والزمان قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان:٥٩] وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت:٩]، وقال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] إلى غير ذلك، وما لم يكن ذكره بلفظ الأمر قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢]، وقال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء:٨٥]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

والملائكة كالأرواح من عالم الأمر أوجدهم من غير مرور زمان فقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ﴾ إشارة إلى من هو من عالم الخلق فلا يدخل فيه الملائكة، وهو باطل لقوله تعالى: ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٠٢] فالمَلَك من عالم الخلق.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] هل بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ تعارض؟

ج: ليس بينهما تعارض، ولا يكون تعارض أبدًا بين آيات من كتاب الله عزَّ وجل، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء:٨٢].

وإنما المعنى، ﴿وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣] أي: أن الله جعلهم شعوبًا للتعارف، وخَلْقُهم إنما هو للعبادة.

قال الرازي في تفسيره:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، وقال: ﴿لِيَعۡبُدُونِ﴾ فهل بينها اختلاف؟ نقول ليس كذلك فإن الله تعالى علل جعلهم شعوبًا بالتعارف، وههنا علل خلقهم بالعبادة، وقوله هناك: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ دليل على ما ذكره ههنا وموافق له، لأنه إذا كان أتقى كان أعبد وأخلص عملاً، فيكون المطلوب منه أتم في الوجود فيكون أكرم وأعز، كالشيء الذي منفعته فائدة، وبعض أفراده يكون أنفع في تلك الفائدة، مثاله الماء إذا كان مخلوقًا للتطهير والشرب فالصافي منه أكثر فائدة في تلك المنفعة فيكون أشرف من ماء آخر، فكذلك العبد الذي وجد فيه ما هو المطلوب منه على وجه أبلغ.

❁❁❁

س: ما العبادة التي خُلِقَ الإنس والجن لها؟

ج: هي - والله أعلم -: طاعة الله وتعظيمه وامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وعمومًا فهي فعل كل ما يحبه الله ويرضاه، والقول بما يرضي الله، وكذا النوايا الحسنة

التي ترضي الله عزَّ وجل.

قال الرازي في تفسيره:

ما العبادة التي خلق الجن والإنس لها؟ قلنا: التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، فإن هذين النوعين لم يخل شرع منهما، وأما خصوص العبادات فالشرائع مختلفة فيها بالوضع والهيئة والقلة والكثرة والزمان والمكان والشرائط والأركان، ولما كان التعظيم اللائق بذي الجلال والإكرام لا يعلم عقلًا لزم اتباع الشرائع فيها والأخذ بقول الرسل عليهم السلام فقد أنعم الله على عباده بإرسال الرسل وإيضاح السبل في نوعي العبادة، وقيل: إن معناه ليعرفوني[1].

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنۡهُم مِّن رِّزۡقٖ﴾ يقول تعالى ذكره: ما أريد ممن خلقت من الجنّ والإنس من رزق يرزقونه خلقي ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطۡعِمُونِ﴾ يقول: وما أريد منهم من قوت أن يقوتوهم، ومن طعام أن يطعموهم.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ: أخبر أنه غير محتاجٍ إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم.

قلت: ولا يمنع أن يدخل في إيضاح المعنى قوله تعالى: «يا عبادي إنكم لن تَبْلُغوا ضَرّي فتَضُرُّوني، ولن تَبلُغوا نَفعِي فتنفعُوني..»[2].

قال ابن الجوزي في «زاد المسير»:

---

(١) وهذا الأخير لا أرى صحته في هذا المقام، والله أعلم.

(٢) حديث قدسي أخرجه مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إِنّي حَرّمتُ الظُّلمَ على نَفسِي...» الحديث.

أي: ما أُريدُ أن يرزقُوا أنفسهم ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ أي: أن يطعموا أحدًا من خَلْقي، لأنِّي أنا الرزَّاق، و إنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيالُ الله، ومن أطعمَ عِيالَ أحد فقد أطعمه. وقد جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم، استَطْعمتُكَ فلم تُطْعِمني» أي: لم تُطعِم عبدي.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾.

ج: قال السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ أي: كثير الرزق، الذي ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها.

﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ أي: الذي له القوة والقدرة كلها، الذي أوجد بها الأجرام العظيمة ـ السفلية والعلوية ـ وبها تصرف في الظواهر والبواطن ونفذت مشيئته في جميع البريات. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا يعجزه هارب، ولا يخرج على سلطانه أحد، ومن قوته، أنه أوصل رزقه إلى جميع العالم.

ومن قدرته وقوته، أنه يبعث الأموات بعدما مزقهم البلى وعصفت بهم الرياح وابتلعتهم الطيور والسباع وتمزقوا وتفرقوا في مهامه القفار ولجج البحار. فلا يفوته منهم أحد، ويعلم ما تنقص الأرض منهم، فسبحان القوي المتين.

❁❁❁

س: كثيرًا ما يُحذِّر أهل الكفر بأنهم سينالهم نحوٌ من العذاب الذي حلَّ بأمثالهم دلّل على ذلك ووضحه.

ج:نعم هذا يتكرر كثيرًا في كتاب الله عزَّ وجل.

فعلى سبيل المثال: لما أهلك الله سبحانه وتعالى قوم لوطٍ بحجارة من سجيل

منضود، قال تعالى في شأن هذه الحجارة: ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [هود:٨٣] أي: أن الظالمين ـ غير قوم لوط ـ ليست هذه الحجارة عنهم ببعيدة بل نحن قادرون على قذفهم بها أيضًا.

ونحو ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢] أي: وهكذا نُجازي كل مفترٍ صنع كصنيعهم.

وكذا قوله تعالى: ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي: من أهل مكة، وكذا كل ظالم.

﴿ مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ ﴾ أي: نصيبًا من العذاب مثل نصيب الكفار من الأمم السابقة.

❁❁❁

س: اذكر بإيضاح معنى الذنوب.

ج: الذنوب هي الدلو العظيمة[1]، ومنه قول الراجز:

لنـــا ذَنُـــوبٌ ولكـــم ذَنُـــوبٌ   فـــإن أبيـــتُم فلنـــا القَلِيـــبُ[2]

ولكن المراد بالذنوب في الآية الكريمة: الحظ والنصيب العظيم من العذاب.

وقال الطبري في معنى الآية الكريمة:

ومعنى الكلام: فإن للذين ظلموا من عذاب الله نصيبًا وحظًّا نازلًا بهم مثل نصيب أصحابهم الذين مضوا من قبلهم من الأمم على منهاجهم من العذاب فلا يستعجلون به.

---

(١) وأصل إطلاق ذلك أن القوم كانوا يستخرجون الماء من الآبار بالدلو العظيمة فيقتسمون ذلك فيما بينهم كلٌّ له دلو، فكذلك هم في العذاب لهم نصيب من العذاب كنصيب أسلافهم الذين صنعوا كصنيعهم، والله أعلم.

(٢) القليب: الحفرة العظيمة، وهي أكبر من الذنوب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾.

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ: فلا يستعجل هؤلاء الكفار نزول العذاب عليهم فإنه آت لا محالة، وذلك لأن أهل الكفر ـ هؤلاء ـ كانوا يستعجلون نزول العذاب على سبيل التحدي والسخرية والاستهزاء والإنكار، فكانوا يقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

وكانوا يقولون كذلك: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:١٦]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الحج:٤٧] وقال: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج:١]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس:٤٨]، وقالوا أيضًا: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [هود:٣٢].

قال السعدي رحمه الله:

﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ بالعذاب فإن سنة الله في الأمم واحدة.

فكل مكذب يدوم على تكذيبه من غير توبة وإنابة، فإنه لا بد أن يقع عليه العذاب، ولو تأخر عنه مدة، ولهذا توعدهم الله بيوم القيامة فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ وهو يوم القيامة، الذي قد وعدوا فيه بأنواع العذاب والنكال والأغلال، فلا مغيث، ولا منقذ لهم من عذاب الله. نعوذ بالله منه.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ في معنى ذلك:

يقول تعالى ذكره: فالوادي السائل في جهنم من قيح وصديد للذين كفروا بالله وجحدوا وحدانيته من يومهم الذي يوعدون فيه نزول عذاب الله إذا نزل بهم ماذا يلقون فيه من البلاء والجهد.

قلت: واختار الطبري هنا أن الويل هو واد في جهنم، وقد قدمنا مرارًا أنه قد وردت في ذلك أحاديث عن رسول الله ﷺ قد تصح بمجموعها وقد لا يراها أحد صحيحة إلا أن من العلماء كمٌّ كبير قالوا: الويل هنا المراد به العذاب الشديد، والله أعلم.



﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

س: وضح معنى ما يلي:

﴿وَالطُّورِ - مَّسْطُورٍ - رَقٍّ - مَّنشُورٍ - وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ - وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ - الْمَسْجُورِ - لَوَاقِعٌ - دَافِعٍ - تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا - وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا - فَوَيْلٌ - خَوْضٍ - يَلْعَبُونَ - دَعًّا - بِهَا تُكَذِّبُونَ - اصْلَوْهَا - سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿وَالطُّورِ﴾	جبل الطور المعروف (الذي كلم الله عز وجل عنده نبيه موسى عليه السلام). وقيل: الطور الجبل الذي ينبت. وقيل: الجبل عمومًا.
﴿مَّسْطُورٍ﴾	مكتوب.

﴿رَقٍّ﴾	جلد رقيق يُكتب عليه (وكانوا في زمن النبي ﷺ يكتبون على جلد رقيق) ـ صحيفة ـ ورق.
﴿مَّنشُورٍ﴾	مفتوح ـ مبسوط.
﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾	بيت في السماء بحيال (بمحاذاة) الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك. والمعمور: الذي يُعمَّر بكثرة من يدخلونه.
﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾	السماء (ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾). [الأنبياء:٣٢]
﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾	المُوقد ـ المُحمَّى ـ المتأجج نارًا [1] (ومنه: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير:٦] أي احترقت فصارت نارًا تتأجج). وقيل: المسجور المملوء ـ وقيل: الذي ذهب ماؤه.
﴿لَوَٰقِعٌ﴾	لكائنٌ ـ حالٌّ بالكافرين يوم القيامة ـ لنازل.
﴿دَافِعٍ﴾	مانع ـ صادٌّ يصده ـ دافع يدفعه.
﴿تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾	تدور السماء دورانًا ـ تتحرك تحركًا شديدًا ـ تُكفأ.
﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾	تنسف نسفًا ـ تُزال عن أماكنها.
﴿فَوَيْلٌ﴾	الويل: له معنيان أحدهما: أنه وادٍ في جهنم يسيل إليه صديد أهل النار، والثاني: عذاب شديدٌ.
﴿خَوْضٍ﴾	فتنة واختلاط وغفلة عن طاعة الله وعمَّا هم صائرون إليه من

(١) وقد ورد أثرٌ عن عليٍّ رضي الله عنه عند الطبري (٣٢٣٠٩) أنه سأل رجلاً من اليهود: أين جهنم؟ فقال البحر. فقال: ما أراه إلا صادقًا ﴿والبحر المسجور﴾، ﴿وإذا البحار سجرت﴾.

	العذاب.
﴿يُدَعُّونَ﴾	يدفعون بإرهاق وإزعاج بشدةٍ وعُنف في القفا ـ يدفعون في أعناقهم ومنه قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون:٢] أي: يدفعه ويطرده ويغلظ عليه.
﴿دَعًّا﴾	دفعًا ـ إزعاجًا.
﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾	تجحدونها ـ تنكرونها.
﴿ٱصْلَوْهَا﴾	ذوقوا حرَّها ـ ادخلوها ذائقين حرَّها.
﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾	يستوي عندكم (أي: سواء أصبرتم وتحملتم أم سمع منكم الضجيج والصياح فكل ذلك لا يُخفف عنكم).

❁❁❁

س: اذكر بإيجاز واختصار ما تضمنته هذه السورة المباركة الكريمة؟

ج: أقسم الله تبارك وتعالى في هذه السورة الكريمة بأمورٍ عظيمة فأقسم بالطور، وهو الجبل الذي كلَّم عنده موسى عليه السلام، وكذا أقسم بالكتاب المسطور الذي كتبت فيه أعمال العباد.

وكذا أقسم بالبيت المعمور ـ وهو بيت في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون، وأقسم كذلك بالسقف المرفوع، وهي السماء، وكذا أقسم بالبحر المسجور.

أقسم بكل ذلك على أن عذاب الله عزَّ وجل الذي وعد به العصاة والمجرمين لا بد وأن يتحقق وأنه واقع، ولن يستطيع أحدٌ دفعه ولا منعه، ثم بين بعض مشاهد هذا اليوم ومقدماته وتوعد المكذبين المعرضين، وبيَّن أيضًا بعض ما أعده للمتقين، وبعض ما أكرمهم وأكرم ذريتهم به، وبعض أعمالهم وأحوالهم التي كانوا عليها في الدنيا ثم حثٌّ للنبي ﷺ على التذكير ودفاع عن هذا الرسول الكريم ونفيٌ للتهم عنه وتحذير

لأهل الكفر والزيغ والضلال، ولفت أنظارهم إلى ما تفيض ويستلزم توحيد الخالق سبحانه وتعالى والإيمان به وبيان شدة عنادهم وإبائهم وامتناعهم عن الإيمان ثم وعيد شديد بعظيم العذاب وحث لرسول الله ﷺ على الصبر والثبات والاستعانة بذلك وبالصلاة على تبليغ الرسالة ومواجهة أعداء الله عزَّ وجل، والله أعلم.

❁❁❁

س: هل ورد أن النبي ﷺ قرأ في الصلاة بسورة الطور؟

ج: نعم قد ورد ذلك من وجوه:

أحدها: ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير[1].

الثاني: ما أخرجه البخاري[2] ومسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ بالطور وكتاب مسطور.



س: ما وجه القسم بالطور؟

ج: كما سلف فالطور - على رأي لبعض أهل العلم - هو الجبل الذي كلَّم الله عنده نبيه موسى ﷺ، والقسم به تشريفٌ له وتكريمٌ وتذكيرٌ بما كان عنده من الآيات والمعجزات.

كما قال تعالى في آيات أُخر: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١، ٢].



---

(١) البخاري (٤٨٥٤)، ومسلم (٤٦٣) ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب.

(٢) البخاري (٤٨٥٣).

س: ما المراد بالكتاب المسطور؟

ج: * قيل: المراد اللوح المحفوظ، وقيل: الكتب المنزلة المكتوبة التي تقرأ على الناس جهارًا، وذلك كالتوراة والإنجيل والقرآن، والزبور وصحف إبراهيم وموسى.

* وقيل أيضًا: إنه الكتاب الذي كتبه الله لموسى عليه السلام.

* وقيل: صحائف الأعمال، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء:١٣].

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح ما يتعلق بالبيت المعمور؟

ج: أخرج الإمام مسلم[١] في صحيحه من حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيت بالبراق...» فذكر الحديث وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه».

وأخرج الطبري بسندٍ[٢] صحيح لغيره عن عليٍّ رضي الله عنه وقد سأله ابن الكواء: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء السادسة يُقال له: الضراح يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبدًا.

وقال بعض العلماء: إن المراد بالبيت المعمور: الكعبة المعمورة بالحجاج والعمار والطائفين والعاكفين والمجاورين.

واستظهروا هذا القول ورجحوه لتناسب الآيات مع آيات سورة التين.

---

(١) مسلم (حديث ١٦٢).

(٢) الطبري (٣٢٢٩٠) وانظر الطبري كذلك (٣٢٢٩٠).

ففي سورة التين أقسم الله بالتين والزيتون، قالوا: وهي البلاد التي ينبت فيها التين والزيتون، التي هي بلاد الشام، وكان فيها وحي إلى عيسى عليه السلام، ثم أقسم بالطور الذي عنده كلَّم موسى عيه السلام، ثم أقسم بالبلد الأمين، بلد رسول الله ﷺ.

وهنا أقسم الله بالطور، والبيت المعمور فحملهم ما تقدم على تفسير البيت المعمور بالكعبة، والله أعلم.

أشار إلى ذلك القاسمي في تفسيره.



س: اذكر بمزيد من الإيضاح معنى البحر المسجور؟

ج: قيل: هو بحرنا هذا، والمسجور معناه المملوء وهذا قول الجمهور.

وقيل: إنه هذا البحر، ولكنه يتأجج نارًا يوم القيامة تحيط بأهل الموقف.



س: على أي شيء أقسم الله بهذه المخلوقات العظيمة؟

ج: أقسم الله عزَّ وجل بهذه المخلوقات العظيمة على أن عذابه واقعٌ بأعدائه، لا دافع له عنهم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾؟

ج: المعنى ـ والله أعلم ـ وتسير الجبال فتنتقل عن أماكنها سيرًا فتصير هباءً منثورًا. قال نحوه القرطبي.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا﴾ أي: تزول عن أماكنها، وتسير عن مواضعها كسير السحاب، وتطير في الهواء، ثم تقع على الأرض مفتتة كالرمل ثم تصير كالعهن أي:

الصوف المندوف، ثم تطيرها الرياح فتكون هباء منبثًا، كما دل عليه كلامه في سورة النمل، قيل: ووجه تأكيد الفعلين بالمصدر الدلالة على غرابتهما وخروجهما عن المعهود، والحكمة في مور السماء، وسير الجبال: الإعلام والإنذار بأن لا رجوع ولا عود إلى الدنيا لخرابها وعمارة الآخرة، وقد تقدم تفسير مثل هذا في سورة الكهف.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾؟

ج: هذه تحتمل معنيين:

أحدهما: فهلاكٌ ـ يوم تمور السماء مورًا ـ للمكذبين.

والثاني: وادٍ في جهنم للمكذبين بالبعث المنكرين للحساب الجاحدين للرسل.

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾: ويل كلمة عذاب، يقال للهالك، واسم وادٍ في جهنم، وإنما دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة أي: إذا وقع ما ذكر من مور السماء وسير الجبال فويل لهم أي شدة عذاب.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

ثم وصف المكذبين بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴾ أي: في تردد في الباطل واندفاع فيه يلهون، لا يذكرون حسابًا، ولا يخافون عقابًا، والمعنى: أنهم يخوضون في أمر محمد ﷺ بالتكذيب والاستهزاء، وقيل: يخوضون في أسباب الدنيا، ويعرضون عن الآخرة، والخوض من المعاني الغالبة، فإنه يصلح للخوض في كل شيء إلا أنه غلب في الخوض في الباطل، كالإحضار فإنه عام في كل شيء، ثم غلب استعماله في الإحضار للعذاب، قال تعالى:

﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾[الصافات:٥٧]، ونظيره في الأسماء الغالبة، دابة فإنها غلبت في ذوات الأربع، والقوم غلب في الرجال أفاده الكرخي، أخذًا عن حواشي «الكشاف».

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن النار عرضت لهم فرأوها ثم قيل لهم: أفسحر هذه النار التي أمامكم؟ فقد كنتم تقولون عن القرآن الذي أخبرتم فيه عن النار أنه سحر، أفهذه النار التي ترونها سحرٌ هي الأخرى أم أنكم عميٌ عنها كما كنتم عميانًا في الدنيا عن الحق؟!

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ استفهام معناه التوبيخ والتقريع؛ أي يقال لهم: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ الذي ترون الآن بأعينكم ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ وقيل: (أمْ) بمعنى بل؛ أي: بل كنتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله تعالى:

وقوله: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ يقول: ذوقوا حرَّ هذه النار التي كنتم بها تكذبون، وردوها فاصبروا على ألمها وشدَّتها، أو لا تصبروا على ذلك، سواء عليكم صبرتم أو لم تصبروا ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يقول: ما تجزون إلا أعمالكم، أي: لا تعاقبون إلا على معصيتكم في الدنيا ربكم وكفركم.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ أي: تقول لهم الخزنة ذوقوا حرَّها بالدخول فيها. ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن فـ﴿سَوَآءٌ﴾

خبره محذوف، أي: سواء عليكم الجزع والصبر فلا ينفعكم شيء، كما أخبر عنهم أنهم يقولون: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا﴾ [إبراهيم: ٢١]. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

أما الرازي فقد توسع فقال:

ثم قال تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: إذا لم يمكنكم إنكارها وتحقق أنه ليس بسحر ولا خلل في أبصاركم فاصلوها. وقوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ فيه فائدتان:

إحداهما: بيان عدم الخلاص وانتفاء المناص فإن من لا يصبر يدفع الشيء عن نفسه إما بأن يدفع المعذب فيمنعه وإما بأن يغضبه فيقتلته ويريحه ولا شيء من ذلك يفيد في عذاب الآخرة فإن من لا يغلب المعذب فيدفعه ولا يتلخص بالإعلام فإنه لا يقضي عليه فيموت، فإذن الصبر كعدمه، لأن من يصبر يدوم فيه، ومن لا يصبر يدوم فيه.

الثانية: بيان ما يتفاوت به عذاب الآخرة عن عذاب الدنيا، فإن المعذب في الدنيا إن صبر ربما انتفع بالصبر إما بالجزاء في الآخرة، وإما بالحمد في الدنيا، فيقال له: ما أشجعه! وما أقوى قلبه، وإن جزع يذم، فيقال: يجزع كالصبيان والنسوان، وأما في الآخرة لا مدح ولا ثواب على الصبر، وقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ ﴿سَوَآءٌ﴾ خبر، ومبتدأه مدلول عليه بقوله: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ كأنه يقول: الصبر وعدمه سواء، فإن قيل: يلزم الزيادة في التعذيب، ويلزم التعذيب على المنوي الذي لم يفعله، نقول فيه لطيفة، وهي أن المؤمن بإيمانه استفاد أن الخير الذي ينويه يثاب عليه، والشر الذي ينويه ولا يحققه لا يعاقب عليه، والكافر بكفره صار على الضد، فالخير الذي ينويه ولا يعمله لا يثاب عليه، والشر الذي يقصده ولا يقع منه يعاقب عليه ولا ظلم، فإن الله تعالى أخبره به، وهو اختار ذلك ودخل فيه باختياره، كأن الله تعالى قال: فإن من كفر ومات كافرًا أعذبه أبدًا فاحذروا، ومن آمن أثيبه دائمًا، فمن ارتكب الكفر ودام عليه بعدما سمع ذلك، فإذا عاقبه المعاقب دائمًا تحقيقًا لما أوعده به لا يكون ظالمًا.

❁❁❁

س: ما المستفاد من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟

ج: المستفاد أن الله عز وجلَّ لا يظلم أحدًا من الخلق بل يجازي كلًّا بعمله.

وفي هذا يقول تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وجَعَلْتُه بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»، ويقول تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت:٤٦]، ويقول: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].



﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ٱلْمُتَّقِينَ - فَٰكِهِينَ - بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ - وَوَقَىٰهُمْ - عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ - هَنِيٓـًٔا - مُتَّكِـِٔينَ - مَّصْفُوفَةٍ - بِحُورٍ عِينٍ - أَلَتْنَٰهُم - رَهِينٌ - وَأَمْدَدْنَٰهُم - يَشْتَهُونَ - يَتَنَٰزَعُونَ - كَأْسًا لَّا لَغْوٌ - وَلَا تَأْثِيمٌ - مَّكْنُونٌ - يَتَسَآءَلُونَ - قَبْلُ - مُشْفِقِينَ - فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا - وَوَقَىٰنَا - عذاب السموم - ٱلْبَرُّ ؟﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿ٱلْمُتَّقِينَ﴾	الذين اتقوا ربهم (بفعل الطاعات واجتناب النواهي وفعل الخيرات) ـ الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية.
﴿فَٰكِهِينَ﴾	مُنعمين ـ مُعجبين ـ طيبوا المزاج مرتاحوا البال ـ متلذذين ـ عندهم فاكهة كثيرةٌ ـ يتفكهون بما آتاهم الله من النعيم من أصناف الملاذ من مآكل ومشارب وملابس ومساكن ومراكب

	وغير ذلك.
﴿بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾	بالذي أعطاهم الله إياه.
﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾	وصرف عنهم ـ ونجّاهم.
﴿عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾	عذاب النار.
﴿هَنِيٓـًٔا﴾	لا تنغيص فيه ولا كدر ـ لا تخشون منه أذًى ولا غائلة بعد أكله ـ لا تتألمون بعد أكله(١).
﴿مُتَّكِـِٔينَ﴾	الاتكاء هو الميل بأحد الشقين، وقيل: هو التربع عند الجلوس.
﴿مَّصْفُوفَةٍ﴾	موصول بعضها إلى بعضٍ حتى تصير صفًّا. وقيل: مصفوفة متقابلة كقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧].
﴿بِحُورٍ﴾	شدة بياض مقلةُ العين في شدة سواد الحدقة.
﴿عِينٍ﴾	جمع عيناء وهي عظيمة العين في حُسن وسعةٍ.
﴿وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم﴾	وما أنقصناهم ـ وما بخسناهم ـ وما ظلمناهم.
﴿رَهِينٌ﴾	مرتهن (محبوس ومرتبط) بعمله ـ يعاقب بذنب نفسه ـ لا يحمل ذنبه غيره من الناس(٢).

(١) قال الرازي في تفسيره (٢٨/ ٢٤٨): وقوله تعالى: ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ إشارة إلى خلوها عما يكون فيها من المفاسد في الدنيا، منها أن الآكل يخاف من المرض فلا يهنأ له الطعام، ومنها أنه يخاف النفاد فلا يسخو بالأكل والكل منتفٍ في الجنة فلا مرض ولا انقطاع، فإن كل أحد عنده ما يفضل عنه، ولا إثم ولا تعب في تحصيله، فإن الإنسان في الدنيا ربما يترك لذة الأكل لما فيه من تهيئة المأكول بالطبخ والتحصيل من التعب أو المنة أو ما فيه من قضاء الحاجة واستقذار ما فيه، فلا يتهنأ، وكل ذلك في الجنة منتفٍ.

(٢) قال الزمخشري: ﴿كُلُّ ٱمْرِىٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه، فإن عمل صالحًا فكّها وخلّصها، وإلا أوبقها.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم﴾	أتحفناهم ـ زدناهم وقتًا بعد وقتٍ.
﴿يَشْتَهُونَ﴾	يستطيبون.
﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا﴾	يتعاطون بها ـ يتداولونها فيما بينهم.
﴿كَأْسًا﴾	كأسًا من خمر.
﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا﴾	لا يصاحبها القول الباطل ـ لا تحملهم على الهذيان والجنون.
﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾	كذب ـ ما تجلبه من الإثم.
﴿مَّكْنُونٌ﴾	مصونٌ في كنٍّ ـ محفوظ.
﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾	يسأل بعضهم بعضًا(١) ـ يتحادثون.
﴿قَبْلُ﴾	من قبل (أي في الدنيا) ـ أي قبل لقاء الله.
﴿مُشْفِقِينَ﴾	خائفين من عذاب الله ـ أرقاء القلوب من خشية الله.
﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾	أنعم الله علينا.
﴿وَوَقَىٰنَا﴾	صرف عنا.
﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾	عذاب النار، والسموم اسم من أسماء النار، والسموم في الأصل الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم.
﴿ٱلْبَرُّ﴾	اللطيف بعباده ـ المحسن بمن دعاه.



(١) يسأل بعضهم بعضًا عن أحواله وأعماله التي عملها في الدنيا، وكانت سببًا في دخوله الجنة. وكذا يسأل بعضهم بعضًا عن أحوال الآخرين.

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله: ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؟

ج: قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ يقال: رجل فاكه أي: ذو فاكهة كما قيل لابن وتامر والمعنى أنهم ذوو فاكهة من فواكه الجنة وقيل: ذو نعمة وتلذذ بها صاروا فيه مما أعطاهم الله عز وجل مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد تقدم بيان معنى هذا. قرأ الجمهور: فاكهين بالألف والنصب على الحال، وقرئ بالواو على أنه خبر بعد خبر وقرئ فكهين، والفكهة: طيب النفس كما تقدم في الدخان، ويقال للأشر والبطر ولا يناسب التفسير به هنا، والمفاكهة المهازجة وتفكه تعجب وقيل: تندم قال تعالى: ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة:٦٥] أي: تندمون وتفكه بالشيء تمتع به قيل: ما مصدرية وفيه بعد من حيث المعنى إذ التفكه ليس بإعطاء الرب بل بالمعطى، وقيل: موصولة والباء على أصلها أو بمعنى في.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾؟

ج: المعنى في ذلك ـ والله تعالى أعلم ـ ما ذكره الطبري عن بعض أهل العلم إذ قال: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم المؤمنين في الجنة، وإن كانوا لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم، تكرمة لآبائهم المؤمنين، وما ألتنا آباءهم المؤمنين من أجور أعمالهم من شيء.

* وأورد بسندٍ صحيح[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ﴾ فقال: إن الله تبارك وتعالى يرفع للمؤمن ذريته،

---

(١) الطبري (٣٢٣٣٨).

وإن كانوا دونه في العمل، ليقر الله بهم عينه.

* وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يخبر تعالى عن فضله وكرمه، وامتنانه ولطفه بخلقه وإحسانه؛ أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان يُلحقهم بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملَهم، لتقرّ أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم، فيجمع بينهم على أحسن الوجوه، بأن يرفع الناقص العمل بكامل العمل، ولا ينقص ذاك من عمله ومنزلته، للتساوي بينه وبين ذاك؛ ولهذا قال: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾.

❁❁❁

س: الولد ينتفع بصلاح أبيه فهل الأب ينتفع بصلاح الولد؟

ج: نعم، الأب ينتفع بصلاح الولد ودعائه، ففي الحديث[(١)]: «إِنَّ اللهَ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَذِه؟ فَيَقُولُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ».

وفي الحديث الآخر[(٢)]: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».

❁❁❁

س: هل المراد بالذرية في قوله تعالى: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ هم الكبار أم الصغار أم هم الكبار والصغار معًا؟

ج: فصَّل في هذه المسألة ابن القيم رحمه الله تعالى تفصيلًا واسعًا وانتهى إلى أن الأظهر اختصاص الذرية بالصغار، وفي ذلك بعض النظر.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٩).

(٢) مسلم (١٦٣١).

فقال رحمه الله:

وقد اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية، هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال. واختلافهم مبني على أن قوله: ﴿بِإِيمَنٍ﴾ حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين.

فقالت طائفة: المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات. قالوا: ويدل على هذه قراءة من قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَهُمْ ذُرِّيَّتُهُم﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم.

قالوا: وقد أطلق الله سبحانه الذرية على الكبار، كما قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنعام:٨٤] وقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ [الإسراء:٣] وقال: ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٣] وهذا قول لكبار العقلاء.

قالوا: ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ إِلَى دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ فِي الْعَمَلِ، لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم، ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم. فبلّغهم إياها، وإن تقاصر عملهم عنها.

قالوا: وأيضًا فالإيمان هو القول والعمل والنية. وهذا إنما يمكن من الكبار، وعلى هذا فيكون المعنى: أن الله سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه، إذ هذا حقيقة التبعية، وإن كانوا دونه في الإيمان، رفعهم الله إلى درجته إقرارًا لعينه، وتكميلًا لنعيمه، وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعًا، وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن.

وقالت طائفة أخرى: الذرية ههنا الصغار. والمعنى: والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء. والذرية تتبع الآباء. وإن كانوا صغارًا في الإيمان وأحكامه من

الميراث، والدية والصلاة عليهم، والدفن في قبور المسلمين، وغير ذلك، إلا فيما كان من أحكام البالغين.

ويكون قوله: ﴿بِإِيمَٰنٍ﴾ على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين، أي: وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء.

قالوا: يدل على صحة هذا القول: أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب، فإنهم مستقلون بأنفسهم، ليسوا تابعين للآباء في شيء من أحكام الدنيا، ولا أحكام الثواب والعقاب، لاستقلالهم بأنفسهم، ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم، ولكان أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم، وهلم جرًّا إلى يوم القيامة، فيكون الآخرون في درجة السابقين.

قالوا: ويدل عليه أيضًا: أنه سبحانه جعلهم معهم تبعًا في الدرجة. كما جعلهم تبعًا معهم في الإيمان. ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعًا، بل إيمان استقلال.

قالوا: ويدل عليه أن الله سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين. وأما الأتباع فإن الله سبحانه يرفعهم إلى درجة أهليهم. وإن لم يكن لهم أعمال. كما تقدم.

وأيضًا فالحور العين والخدم في درجة أهليهم، وإن لم يكن لهم عمل، بخلاف المكلفين البالغين، فإنهم يرفعون إلى حيث بلغت بهم أعمالهم.

وقالت فرقة ـ منهم الواحدي ـ: الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار؛ لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه، والصغير يتبع الأب بإيمان الأب.

قالوا: والذرية تقع على الصغير والكبير، والواحد والكثير، والابن والأب، كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١] أي: آباءهم. والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي. فمن وقوعه على التبعي قوله: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢] فلو أعتق صغيرًا جاز.

قالوا: وأقوال السلف تدل على هذا. قال سعيد بن جبير عن ابن عباس: إن الله يرفع ذرية المؤمنين في درجتهم، وإن كانوا دونه في العمل، لتقرّ بهم عيونهم. ثم قرأ هذه الآية.

وقال ابن مسعود في هذه الآية: الرجل يكون له القدم، ويكون له الذرية، فيدخل الجنة، فيرفعون إليه، لتقرّ بهم عينه، و إن لم يبلغوا ذلك، وقال أبو مجلز: يجمعهم الله له، كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا.

وقال الشعبي: أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة. وقال الكلبي عن ابن عباس: إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء. وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء. وقال إبراهيم: أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئًا.

قال: ويدل على صحة هذا القول: أن القراءتين كالآيتين، فمن قرأ: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتَهُم﴾ فهذا في حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة:١٠٠]، ومن قرأ: ﴿وأتبعناهم ذرياتهم﴾ فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكمًا. فدلت القراءتان على النوعين.

قلت: واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر، لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات، ولا يلزم مثل هذا في الصغار، فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته، والله أعلم.

❁❁❁

س: هل قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ خاص بالكفار أم هو عام؟

ج: من العلماء من قال ذلك خاص بالكفار، لقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدثر:٣٨ـ٣٩].

قال القرطبي رحمه الله:

﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾ قيل: يرجع إلى أهل النار. قال ابن عباس: ارتهن أهل جهنم بأعمالهم وصار أهل الجنة إلى نعيمهم؛ ولهذا قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ [المدثر: ٣٨].

وقيل: هو عام لكل إنسان مُرْتَهَن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله، فأما الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله. ويحتمل أن يكون هذا في الذّرية الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مُرْتَهَنين بكفرهم.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾؟

ج: قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ يقول: كل نفس بما كسبت وعملت من خير وشر مرتهنة لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، وإنما يعاقب بذنب نفسه.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ لما أخبر عن مقام الفضل، وهو رفع درجة الذرية إلى منزلة الآباء من غير عمل يقتضي ذلك، أخبر عن مقام العدل، وهو أنه لا يؤاخذ أحدًا بذنب أحد، بل ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي: مرتهن بعمله، لا يحمل عليه ذنب غيره من الناس، سواء كان أبًا أو ابنًا، كما قال: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [المدثر: ٣٨ ـ ٤١].

❁❁❁

س: هل كل إنسان يرتهن بعمله أم أن هناك استثناءات؟

ج: قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱمْرِيٍٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ ظاهره يفيد العموم، ولكن هناك ما يدل

على أن أصحاب اليمين يستثنون من هذا العموم.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المدّثر:٣٨-٤٠].

❁❁❁

س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم - أن أهل الجنة يتعاطون فيها بينهم كأس خمر، ولكنها ليست كخمر الدنيا التي يصاحبها اللغو واللغط والسباب والشتم والأفعال المحرمة التي تجلب الآثام وتحمل صاحبها على الكذب، وإنما هي خمرٌ غيرُ مصحوبةٍ بلغوٍ ولا بلغط، ولا بكذب ولا بفعل محرمٍ، والله تعالى أعلم.

وأخرج الطبري بإسنادٍ يصح عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾. قال: أي لا لغو فيها ولا باطل، إنما كان الباطل في الدنيا مع الشيطان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتعاطون فيها كأسًا أي: من الخمر؛ قاله الضحاك ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: لا يتكلمون عنها بكلام لاغٍ، أي: هَذيان وإثم أي: فُحْش، كما تتكلم به الشربة من أهل الدنيا.

قال القرطبي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: أكثرنا لهم من ذلك زيادة من الله، أمدَّهم بها غير الذي كان لهم.

قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي: يتناولها بعضهم من بعض وهو المؤمن وزوجاته وخدمه في الجنة. والكأس: إناء الخمر وكل إناء مملوء من شراب وغيره؛ فإذا فرغ لم يسم كأسًا.

وشاهد التنازع والكأس في اللغة قول الأخطل:

وشَارب مُربِحٍ بالكأس نَادمني ... لا بالْحَصُور ولا فيها بسَوَّارِ
نَازَعْتُه طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وقَدْ ... صَاحَ الدَّجَاجُ وحَانَتْ وَقْعَةُ السَّاري

وقال امرؤ القيس:

فَلَمَّا تنازعْنا الحديثَ وأَسْمَحَتْ ... هَصَرْتُ بغصنٍ ذِي شَمَاريخَ مَيَّالِ

وقد مضى هذا في (والصافات): ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: في الكأس أي لا يجري بينهم لغو ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ ولا ما فيه إثم. والتأثيم تفعيل من الإثم؛ أي تلك الكأس لا تجعلهم آثمين لأنه مباح لهم. وقيل: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا﴾ أي: في الجنة. قال ابن عطاء: أيُّ لغوٍ يكون في مجلس محلّه جنة عدن، وسقاتهم الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم وتحيتهم من عند الله، والقوم أضياف الله! ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ أي: ولا كذب؛ قاله ابن عباس. قال الضحاك: يعني لا يكذب بعضهم بعضًا. وقرأ ابن كثير وابن محيصن وأبو عمرو: ﴿لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ بفتح آخره. الباقون بالرفع والتنوين. وقد مضى هذا في (البقرة) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] والحمد لله.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يطوفون بماذا؟

ج: يطوفون بالفواكه والتحف والطعام والشراب والصحاف والأباريق والكئوس ونحو ذلك.

* قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزُّخرُف:٧١].

* وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الصافات:٤٥].

* وقال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧ ـ ١٨].

❁❁❁

س: هل من فائدة في قوله: ﴿لَّهُمْ﴾ عقب قوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾؟

ج: قال الرازي في تفسيره:

وقوله: ﴿لَّهُمْ﴾ أي: ملكهم إعلامًا لهم بقدرتهم على التصرف فيهم بالأمر والنهي والاستخدام وهذا هو المشهور ويحتمل وجهًا آخر وهو: أنه تعالى لما بين امتياز خمر الآخرة عن خمر الدنيا بين امتياز غلمان الآخرة عن غلمان الدنيا، فإن الغلمان في الدنيا إذا طافوا على السادة الملوك يطوفون عليهم لحظ أنفسهم إما لتوقع النفع أو لتوفر الصفح، وأما في الآخرة فطوفهم عليهم متمحض لهم ولنفعهم ولا حاجة لهم إليهم والغلام الذي هذا شأنه له مزية على غيره وربما يبلغ درجة الأولاد.

❁❁❁

س: ما الفائدة في كون اللؤلؤ ﴿مَّكْنُونٌ﴾؟

ج: الفائدة إيضاح أن هذا اللؤلؤ نقيٌّ في غاية من النقاء صافٍ في غايةٍ من الصفاء، فكما كان مصونًا محفوظًا في كنٍّ كان ذلك أدعى لبياضه وصفائه.

❁❁❁

س: هل مِن فائدة لوصف هؤلاء الغلمان بهذا الوصف ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾؟

ج: الفائدة من وجهين، والله أعلم:

أحدها: وصف النعيم الذي يعيشه أهل الجنة.

الثاني: الإشارة بالنعيم الذي فيه الخادم إلى عظيم النعيم الذي فيه المخدوم.

أي: فإذا كان الخادم من حاله أنه أبيض شديد البياض صافٍ في غايةٍ من الصفاء (كاللؤلؤ المكنون) فكيف بالمخدوم.

ولذلك أمثلة ونظائر في كتاب الله عزَّ وجل كما في قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ

بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمن:٥٤] فإذا كانت البطائن من استبرق فكيف بالظواهر.

وكقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣] فإذا كان العرض هكذا فكيف يكون الطول، والله أعلم.

هذا، وقد ورد في هذا الصدد خبرٌ مرفوع ضعيف الإسناد لإرساله من طريق قتادة قال: ذُكر لنا أن رجلًا قال: يا نبي الله! هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِه، إِنَّ فَضْلَ مَا بَيْنَهُمَا كَفَضْلِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَى النُّجُومِ»(١).

❁❁❁

س: هل يَذكر المؤمنون والكافرون في الآخرة ما كانوا عليه في الدنيا؟

ج: نعم يذكرون ذلك، وقد دلَّ على ذلك ما يلي:

* قول أهل الإيمان: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

* وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾ [الصافات:٥١ ـ ٥٣].

* وكذا قول الكفار: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾. [ص:٦٢ ـ ٦٣]

قال الرازي رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ إشارة إلى أنهم يعلمون ما جرى عليهم في الدنيا ويذكرونه، وكذلك الكافر لا ينسى ما كان له من النعيم في الدنيا، فتزداد لذة المؤمن من حيث يرى نفسه انتقلت من

(١) أخرجه الطبري (٣٢٣٦٩، ٣٢٣٧٠)، ومراسيل قتادة من أضعف المراسيل.

السجن إلى الجنة ومن الضيق إلى السعة، ويزداد الكافر ألمًا حيث يرى نفسه منتقلة من الشرف إلى التلف ومن النعيم إلى الجحيم، ثم يتذكرون ما كانوا عليه في الدنيا من الخشية والخوف، فيقولون: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ وهو أنهم يكون تساؤهم عن سبب ما وصلوا إليه فيقولون: خشية الله كنا نخاف الله ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ وفيه لطيفة وهو: أن يكون إشفاقهم على فوات الدنيا والخروج منها ومفارقة الإخوان ثم لما نزلوا الجنة علموا خطأهم.

❁❁❁

س: قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ من هؤلاء؟ وعن أي شيء يتساءلون؟

ج: هؤلاء المؤمنون، وأما عن الذي يتساءلون عنه فقد أوضحته آياتٌ من سورة الذاريات، إذ الله قال: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ ...﴾ [الصافات: ٥٠ ـ ٥٢]. وكذا أوضحته الآيات في هذه السورة المباركة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ أي: أقبلوا يتحادثون ويتساءلون عن أعمالهم وأحوالهم في الدنيا، وهذا كما يتحادث أهل الشراب على شرابهم إذا أخذ فيهم الشراب بما كان من أمرهم. ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي: قد كنا في الدار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من ربنا مشفقين من عذابه وعقابه، ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ أي: فتصدق علينا وأجارنا مما نخاف، ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾، أي: نتضرع إليه، فاستجاب لنا وأعطانا سؤلنا، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾.

قال السمعاني: في الآية دليل على أن هؤلاء أهل الجنة يجتمعون ويذكرون أحوال الدنيا ويسأل بعضهم بعضًا عن ذلك.

س: وضح معنى قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ أن أهل الإيمان يقولون يوم القيامة بعد أن منَّ الله عليهم بالسلامة والنجاة من النار، وتفضل عليهم بفسيح الجنان، وما فيها من النعيم المقيم قالوا: إنا كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلنا وذوينا خافين من عذاب الله وعقابه وبأسه وانتقامه.

ويُقال أيضًا: وجلين خائفين من أن لا تقبل منهم أعمالهم، والآية كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧].

❁❁❁

س: ما المراد بالدعاء في قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾؟

ج: قيل: المراد بالدعاء هنا العبادة والتوحيد.

قال السمعاني: أي نوحده ونعبده، والدعاء ههنا بمعنى التوحيد، وعليه أكثر المفسرين.

❁❁❁

س: اذكر بمزيدٍ من الإيضاح معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؟

ج: قال السمعاني ـ رحمه الله تعالى ـ في إيضاح ذلك:

قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ قرئ بفتح الألف وكسرها، فمن قرأ بالكسر فهو على الابتداء والاستئناف، ومن قرأ بالفتح فمعناه: إنا كنا من قبل ندعوه بأنه هو البر الرحيم أي: لأنه. والبر: هو البار اللطيف بعباده، ولطفه بعباده هو إنعامه عليهم مع عظم جرمهم وذنبهم. والرحيم: هو العطوف على ما ذكرنا. وعن بعضهم: أن البر الذي يصدق وعده لأوليائه.



﴿ فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ
رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ
أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن
كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ
﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ
ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ
﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ
يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ
﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ
فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾

س: اذكر معنى ما يلي:

﴿ فَذَكِّرْ - بِنِعْمَتِ رَبِّكَ - بِكَاهِنٍ - مَجْنُونٍ - أَمْ - نَتَرَبَّصُ بِهِۦ - رَيْبَ ٱلْمَنُونِ - تَرَبَّصُوا۟
- أَحْلَٰمُهُم - أَمْ هُمْ - طَاغُونَ - تَقَوَّلَهُۥ - بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ - لَّا يُوقِنُونَ - ٱلْمُصَيْطِرُونَ - سُلَّمٌ -
يَسْتَمِعُونَ فِيهِ - بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ - مَّغْرَمٍ - مُّثْقَلُونَ - كَيْدًا - ٱلْمَكِيدُونَ - سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ -
كِسْفًا - مَّرْكُومٌ - كَيْدُهُمْ - يُنصَرُونَ - عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ - لِحُكْمِ رَبِّكَ - بِأَعْيُنِنَا - وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿فَذَكِّرْ﴾	فعِظ (والتذكرة الموعظة).
﴿بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾	بحمد ربك ـ من نعمة ربك عليك ـ من فضل الله عليك.
﴿بِكَاهِنٍ﴾	الكاهن الذي يأتيه الرَّئيُّ من الجن أي: صاحبه الذي يراه من الجن بالكلمة التي يزعم أنه تلقاها من خبر السماء.
﴿مَجْنُونٍ﴾	الذي ذهب عقله ـ أو الذي تخبطه الشيطان من المس.
﴿أَمْ﴾	بل.
﴿نَتَرَبَّصُ بِهِ﴾	ننتظر أن يُصيبه.
﴿رَيْبَ الْمَنُونِ﴾	حوادث الدهر الذي تكفينا شره وتميته. وتريحنا منه أو تتلفه وتصيبه بالعطب[(١)].
﴿تَرَبَّصُوا﴾	انتظروا ـ تمهلوا.
﴿أَحْلَامُهُمْ﴾	عقولهم.
﴿أَمْ هُمْ﴾	بل هم.
﴿طَاغُونَ﴾	متجاوزون الحد في الطغيان والظلم والكفر.
﴿تَقَوَّلَهُ﴾	اختلقه وافتراه من عند نفسه.
﴿بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾	بقرآن مثله.

(١) أخرج الطبري عن قتادة (٣٢٣٧٨) بسندٍ حسن: قوله: ﴿أم يقولون شاعرٌ نتربصُ به ريب المنون﴾ قال: قال ذلك قائلون من الناس: تربصوا بمحمد ﷺ الموت يكفيكموه، كما كفاكم شاعر بني فلان وشاعر بني فلان.

ومن ذلك قول الشاعر:

تربص بها ريب المنون لعلها ... تُطلق يومًا أو يموت حليلها

﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون بوعيد الله.
﴿ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾	الجبارون المتسلطون ـ المنزلون ـ الأرباب المسلطون، ومنه: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية:٢٢].
﴿سُلَّمٌ﴾	سلالم ـ مرقاة يصعدون عليها ـ درج.
﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾	يستمعون عليه، فـ﴿فِيهِ﴾ بمعنى عليه كقوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾.
﴿بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾	حجة تبين أنه على حق.
﴿مَّغْرَمٍ﴾	غرامة ـ دين.
﴿مُّثْقَلُونَ﴾	يُحمَّلون بالدَّين ـ أثقلتهم الديون ـ مدينون دينًا باهظًا ـ يخافون أن يغرموا غرامة كبيرة.
﴿كَيْدًا﴾	مكرًا.
﴿ٱلْمَكِيدُونَ﴾	المكور بهم.
﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	تنزه الله عن شركهم.
﴿كِسْفًا﴾	قطعًا.
﴿مَّرْكُومٌ﴾	متراكم (بعضه فوق بعض).
﴿يُصْعَقُونَ﴾	يموتون بالصعقة ـ يغشى عليهم.
﴿لَا يُغْنِي﴾	لا يدفع ـ لا ينفع.
﴿كَيْدُهُمْ﴾	مكرهم.
﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	ولا ينصرهم ناصر.
﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾	عذابًا قبل ذلك ـ عذابًا أقل من ذلك (يعني في الدنيا).
﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾	لقضاء ربك.

﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾	على مرأى منا.
﴿وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾	بعد غياب النجوم ـ وقيل: وقت إدبارها، وذلك بميلها إلى الغروب عن الأفق بانتشار ضوء الصباح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾؟

ج: المعنى ـ والله تعالى أعلم ـ فعِظ يا رسول الله قومكَ فالحمد لله، فمن فضل الله عليك ومن نعمته عليك لست بكاهنٍ ولا مجنون.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فذكر يا محمد من أرسلت إليه من قومك وغيرهم، وعظهم بنعم الله عندهم ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ يقول: فلست بنعمة الله عليك بكاهن تتكهن، ولا مجنون له رئيّ يخبر عنه قومه ما أخبره به، ولكنك رسول الله، والله لا يخذلك، ولكنه ينصرك.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى آمرًا رسوله ﷺ بأن يبلغ رسالته إلى عباده وأن يذكرهم بما أنزل الله عليه. ثم نفى عنه ما يرميه به أهل البهتان والفجور فقال: ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ أي: لست بحمد الله بكاهن كما تقوَّله الجهلة من كفار قريش. والكاهن: الذي يأتيه الرَّئيّ من الجان بالكلمة يتلقاها من خبر السماء، ﴿وَلَا مَجۡنُونٍ﴾ وهو الذي يتخبطه الشيطان من المس.



س: ما وجه تعلق قوله: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟

ج: أجاب على ذلك الرازي بقوله:

المسألة الثالثة: ما وجه تعلق قوله: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ بقوله: ﴿شَاعِرٌ﴾؟

نقول فيه وجهان:

الأول: أن العرب كانت تحترز عن إيذاء الشعراء وتتقي ألسنتهم، فإن الشعر كان عندهم يحفظ ويدون، وقالوا لا نعارضه في الحال مخالفة أن يغلبنا بقوة شعره، وإنما سبيلنا الصبر وتربص موته.

الثاني: أنه ﷺ كان يقول: إن الحق دين الله، وإن الشرع الذي أتيت به يبقى أبد الدهر وكتابي يتلى إلى قيام الساعة، فقالوا: ليس كذلك إنما هو شاعر، والذي يذكره في حق آهتنا شعر ولا ناصر له وسيصيبه من بعض آهتنا الهلاك فنتربص به ذلك.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ﴾؟

ج: المعنى تربصوا أيها الكفار، وانتظروا حتى يأتي أمر الله، ويحلَّ بي وبكم قضاء الله فإني منتظر قضاء الله وقدره.

قال الطبري رحمه الله:

وقوله: ﴿قُلۡ تَرَبَّصُواْ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين ـ الذين يقولون لك: إنك شاعر نتربص بك ريب المنون ـ تربصوا: أي انتظروا وتمهلوا في ريب المنون، فإني معكم من المتربصين بكم، حتى يأتي أمر الله فيكم.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

أي: انتظروا فإني منتظر معكم وستعلمون لمن تكون العاقبة والنصرة في الدنيا والآخرة.

قال الرازي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ وهو يحتمل وجوهًا:

أحدها: إني معكم من المتربصين أتربص هلاككم وقد أهلكوا يوم بدر وفي غيره من الأيام هذا ما عليه الأكثرون والذي نقوله في هذا المقام هو أن الكلام يحتمل وجوهًا وبيانها: هو أن قوله تعالى: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ إن كان المراد من المنون الموت فقوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ معناه: إني أخاف الموت ولا أتمناه لا لنفسي ولا لأحد، لعدم علمي بما قدمت يداه و إنما أنا نذير وأنا أقول ما قال ربي: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] فتربصوا موتي وأنا متربصه ولا يسركم ذلك لعدم حصول ما تتوقعون بعدي، ويحتمل أن يكون كما قيل تربصوا موتي فإني متربص موتكم بالعذاب، و إن قلنا المراد من ريب المنون: صروف الدهر فمعناه إنكار كون صروف الدهر مؤثرة فكأنه يقول: أنا من المتربصين حتى أبصر ماذا يأتي به دهركم الذي تجعلونه مهلكًا وماذا يصيبني منه، وعلى التقديرين فنقول: النبي ﷺ يتربص ما يتربصون، غير أن في الأول تربصه مع اعتقاد الوقوع، وفي الثاني تربصه مع اعتقاد عدم التأثير، على طريقة من يقول: أنا أيضًا أنتظر ما ينتظره حتى أرى ماذا يكون منكرًا عليه وقوع ما يتوقع وقوعه، وإنما هذا لأن ترك المفعول في قوله: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾ لكونه مذكورًا وهو ريب المنون أولى من تركه وإرادة غير المذكور وهو العذاب.

الثاني: أتربص صروف الدهر ليظهر عدم تأثيرها فهو لم يتربص بهم شيئًا على الوجهين، وعلى هذا الوجه يتربص بقاءه بعدهم وارتفاع كلمته فلم يتربص بهم شيئًا على الوجوه التي اخترناها فقال: ﴿فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ﴾.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيره:

يقول تعالى ذكره: أتأمر هؤلاء المشركين أحلامهم بأن يقولوا لمحمد ﷺ: هو شاعر، وأن ما جاء به شعر ﴿أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ يقول جل ثناؤه: ما تأمرهم بذلك أحلامهم وعقولهم: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ قد طغوا على ربهم، فتجاوزوا ما أذن لهم وأمرهم به من الإيمان إلى الكفر به.

وأورد بإسناد صحيح[1] عن ابن زيد في قوله: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ قال: كانوا يعدّون في الجاهلية أهل الأحلام، فقال الله: أم تأمرهم أحلامهم بهذا ـ أن يعبدوا أصنامًا بكمًا صمًّا، ويتركوا عبادة الله ـ فلم تنفعهم أحلامهم، حين كانت لدنياهم ولم تكن عقولهم في دينهم، لم تنفعهم أحلامهم. وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة، يتأوّل قوله: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم﴾ بل تأمرهم.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ أي: عقولهم تأمرهم بهذا الذي يقولونه فيك من الأقوال الباطلة التي يعلمون في أنفسهم أنها كَذب وزُور ﴿أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ أي: ولكن هم قوم ضلال معاندون، فهذا هو الذي يحملهم على ما قالوه فيك.

قال السمعاني:

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآ﴾ أي: عقولهم، وكانوا يدعون أنهم ذوو عقول وأحلام. والعقل: هو الداعي إلى الحلم فسماه باسمه. ويقال: إن المعنى من هذا هو تسفيههم وتجهيلهم أي: ليس لهم حلم ولا عقل حيث قالوا مثل هذا القول، وحيث نسبوا إلى الشعر والجنون من دعاهم إلى التوحيد وأتاهم بالبراهين.

---

(١) الطبري (٣٢٣٨٣).

وقوله: ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أي: بل هم قوم طاغون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾.

ج: هذا تحدي، يتحدى ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أن يأتي أهل الكفر ـ إن كانوا صادقين في دعواهم أن الرسول ﷺ افترى القرآن من عند نفسه ـ بحديث مثل هذا القرآن.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ﴾ أي: إن كانوا صادقين في قولهم: تَقَوَّله وافتراه، فليأتوا بمثل ما جاء به محمد من هذا القرآن، فإنهم لو اجتمعوا هم وجميع أهل الأرض من الجن والإنس، ما جاءوا بمثله، ولا بعشر سور مثله، ولا بسورة من مثله.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ﴾؟

ج: قال الطبري في تفسيرها:

يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي: من غير آباء ولا أمّهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة. وقد قيل: إن معنى ذلك: أم خلقوا لغير شيء، كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، بمعنى: لغير شيء.

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَٰلِقُونَ﴾ يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ﴾ يقول: أخلقوا السموات والأرض فيكونوا هم الخالقين! وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ يقول: لم يتركوا أن يأتمروا

لأمر ربهم، وينتهوا إلى طاعته فيما أمر ونهى لأنهم خلقوا السموات والأرض فكانوا بذلك أربابًا، ولكنهم فعلوا، لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعدَّ لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

هذا المقام في إثبات الربوبية وتوحيد الألوهية، فقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: أوجدوا من غير موجد؟ أم هم أوجدوا أنفسهم؟ أي: لا هذا ولا هذا، بل الله هو الذي خلقهم وأنشأهم بعد أن لم يكونوا شيئًا مذكورًا.

وأورد حديث البخاري [(١)] من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه قال جبير بن مُطعم، عن أبيه؛ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ كاد قلبي أن يطير.

قال السمعاني في تفسيره:

وقوله: ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أي: خلقوا أنفسهم، والمراد على هذا القول: أنهم إذا لم يدَّعوا أنهم تكوَّنوا من غير خالق وصانع، ولا ادَّعوا أنهم هم الذين خلقوا أنفسهم، وأقروا أن خالقهم هو الله، فلا ينبغي أن يعبدوا معه غيره. والقول الثاني: أن معناه: أم خلقوا من غير شيء أي: لغير شيء، وهو مثل قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون:١١٥] ومثل قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] فإن قال قائل: هل يجوز أن يكون ﴿مِنْ﴾ بمعنى اللام؟ والجواب: أن بعضهم قد أجاز ذلك، ومن لم يجز قال معناه: أم خلقوا من غير شيء توجبه الحكمة يعني: أن الحكمة أوجبت خلقهم. ذكره النحاس أيضًا، والأول أظهر في المعنى.



(١) البخاري (٤٨٥٤).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾؟

ج: قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ معناه: أم يدعون خلق السموات والأرض للأصنام التي يعبدونها.

وقوله: ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يوقنون بما يدعون. وقيل: أم خلقوا السموات والأرض أي: أهم الذين خلقوا السموات والأرض. ومعناه: أنهم لم يخلقوا السموات والأرض.

وفي التفسير: أنهم كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والأرض. فالمعنى: أنهم إذا كانوا مقرين بأن الله هو الخالق فلم يشركون معه غيره؟!

❀❀❀

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾؟

ج: قال الطبري ـ بعد أن أورد جملةً من الأقوال في تفسيرها ـ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: أم هم الجبَّارون المتسلطون المستكبرون على الله، وذلك أن المسيطر في كلام العرب: الجبار المتسلط، ومنه قول الله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] يقول: لست عليهم بجبار مسلط.

قال الرازي في تفسيره:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾، وفيه وجوه:

أحدها: المراد من الخزائن خزائن الرحمة.

ثانيها: خزائن الغيب.

ثالثها: أنه إشارة إلى الأسرار الإلهية المخفية عن الأعيان.

رابعها: خزائن المخلوقات التي لم يرها الإنسان ولم يسمع بها، وهذه الوجوه

الأول والثاني منقول، والثالث والرابع مستنبط، وقوله تعالى: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ تتمة للرد عليهم، وذلك لأنه لما قال: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ﴾ إشارة إلى أنهم ليسوا بخزنة رحمة الله فيعلموا خزائن الله، وليس بمجرد انتفاء كونهم خزنة ينتفي العلم لجواز أن يكون مشرفًا على الخزانة، فإن العلم بالخزائن عند الخازن والكاتب في الخزانة، فقال: لستم بخزنة ولا بكتبة الخزانة المسلطين عليها، ولا يبعد تفسير المسيطرين بكتبة الخزانة، لأن التركيب يدل على السطر وهو يستعمل في الكتاب، وقيل المسيطر المسلط وقرئ بالصاد، وكذلك في كثير من السينات التي مع الطاء، كما في قوله تعالى: ﴿بمسيطر﴾ وقد قرئ: ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يقول: أم لهم سلم يرتقون فيه إلى السماء يستمعون عليه الوحي، فيدعون أنهم سمعوا هنالك من الله أن الذي هم عليه حق، فهم بلك متمسكون بما هم عليه.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ يقول: فإن كانوا يدَّعون ذلك فليأت من يزعم أنه استمع ذلك فسمعه، بسلطان مبين، يعني بحجة تبين أنه حق، كما أتى محمد ﷺ بها على حقيقة قوله، وصدقه فيما جاءهم به من عند الله، والسُّلَّم في كلام العرب: السبب والمرقاة، ومنه قول ابن مقبل:

لا تُحْرِزِ المَرْءَ أحْجاءُ البِلادِ ولا ... تُبْنَى لَهُ في السَّمواتِ السَّلالِيمُ

ومنه قوله: جعلت فلانًا سلمًا لحاجتي: إذا جعلته سببًا لها.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ ﴾ أي: درج ومرقى.

وقوله: ﴿ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ﴾ أي: عليه، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ ﴾ [طه:٧١] أي: على جذوع النخل.

وقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ أي: فليأت من ادَّعى الاستماع منهم بحجة بينة. وفي بعض التفاسير: كما أتى جبريل بالحجة في أنه قد سمع الوحي.

❁❁❁

س: اذكر آية في معنى قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾.

ج: في معناها قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴾ [النجم:٢١].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال منكرًا عليهم فيما نسبوه إليه من البنات، وجَعْلِهم الملائكة إناثًا، واختيارهم لأنفسهم الذكور على الإناث، بحيث إذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودًّا وهو كظيم. هذا وقد جعلوا الملائكة بنات الله، وعبدوهم مع الله، فقال: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾؟ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد.

وقد قال السمعاني في تفسيرها:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴾ معناه: كيف تقولون أن له البنات وأنتم لا ترضون ذلك لأنفسكم؟ والمعنى: أنه ليس الأمر كما تزعمون.

❁❁❁

س: وضح معنى الآية الكريمة: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قريش: ألربكم أيها القوم البنات ولكم البنون؟ ذلك إذن قسمة ضيزى، وقوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴾ يقول ـ

تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: أتسأل هؤلاء المشركين الذين أرسلناك إليهم يا محمد على ما تدعوهم إليه من توحيد الله وطاعته ثوابًا وعوضًا من أموالهم، فهم من ثقل ما حملتهم من الغرم لا يقدرون على إجابتك إلى ما تدعوهم إليه.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ يقول: هل سألت هؤلاء القوم أجرًا يجهدهم، فلا يستطيعون الإسلام.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد قال: قوله: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ قال: يقول: أسألتهم على هذا أجرًا، فأثقلهم الذي يُبْتغَى أخذه منهم.

❁❁❁

س: الداعي إلى الله لا يتقاضى على هداية الناس أجرًا دلِّل على ذلك.

ج: من الأدلة على ذلك ما يلي:

* قوله تعالى: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ﴾ [هود:٥١].

* وقوله: ﴿وَيَـٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ﴾ [هود:٢٩].

* وقوله: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [المؤمنون:٧٢].

* وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾.

❁❁❁

س: ما المراد بالغيب في قوله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾؟، وضح معنى الآية.

ج: المراد بالغيب علمُ الغيب، ودليله قوله تعالى: ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم:٣٥].

أما عن الآية الكريمة، فقد قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم عندهم علم الغيب،

فهم يكتبون ذلك للناس، فينبئونهم بما شاءوا، ويخبرونهم بما أرادوا.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ ﴾ حتى علموا متى يموت محمد أو إلى ما يئول إليه أمره. وقال ابن عباس: أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه. **وقال القتبي**: يكتبون يحكمون والكتاب الحكم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي: حكم، وقوله عليه الصلاة والسلام: «والذي نفسي بيده لأحكمن بينكم بكتاب الله» أي: بحكم الله.

وقال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾ معناه: علم الغيب، ويقال: اللوح المحفوظ، فهم يكتبون منه ما يزعمونه ويدعونه، ومعناه: أنه ليس عندهم ذلك، فقد ادعوا ما ادعوا فقالوا ما قالوا زورًا وكذبًا. ويقال: أم عندهم الغيب أي: كتاب من الله فهم يقولون ما يقولون منه.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾.

ج: قوله تعالى ـ هنا ـ: ﴿ أَمْ ﴾ معناه: بل، فالمعنى: بل يريد هؤلاء المشركون الكيد بك يا محمد والكيد لدين الله، ولكن ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴾ أي: أن أهل الكفر هم المكور بهم دونك فثق بالله وامض لما أمرك الله. قاله الطبري.

ومن الكيد الذي كادوه للنبي ﷺ ما ذكره الله في كتابه الكريم إذ قال: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾.

ج: قال الطبري في معناها:

وقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ يقول جل ثناؤه: أمْ لهم معبود يستحق عليهم العبادة غير الله، فيجوز لهم عبادته، يقول: ليس لهم إله غير الله الذي له العبادة من جميع خلقه ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: تنزيهًا لله عن شركهم وعبادتهم معه غيره.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ فإن قيل: قد كانوا يدعون أن لهم آلهة غير الله، فكيف يصح قوله أم لهم إله غير الله يحي ويميت، ويعطي ويمنع، ويرزق ويحرم؟!

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، وما المراد منه؟

ج: المراد ـ والله تعالى أعلم ـ: أن أهل الكفر والجحود، ممن سبق في علم الله أنهم سيموتون على الكفر لن تجدي معهم الآيات ولن ينتفعوا بالمعجزات، فمهما آتيتهم به من آية التمسوا لها تفنيدًا وتكذيبًا كالذين رأوا انشقاق القمر فقالوا: سَحَرنا محمد ﷺ.

وهذا أيضًا كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٦].

وكما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:١٠١].

وكما قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤ ـ ١٥].

أما عن معنى الآية الكريمة، فبين يدي تفسيرها أقول: إن أهل الشرك قد طلبوا من رسول الله ﷺ ـ كي يؤمنوا به ويصدقوه ـ معجزات، وكان مما طلبوه إسقاط السماء

عليهم قطعًا كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ إلى قوله: ﴿ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٩٠ - ٩٢].

فأخبر الله تعالى: أنه مهما أمدهم به من آيات ومعجزات حتى ولو أسقط السماء عليهم قطعًا ما آمنوا بل لتمادوا - أيضًا - في غيهم.

فقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ ﴾ أي: الكفار: ﴿كِسْفًا ﴾ أي: قطعًا ﴿سَاقِطًا ﴾ أي: ساقطة من السماء، ﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ أي: هذا سحاب متراكم بعضه فوق بعض.

أورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة[(١)] في قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا ﴾ يقول: وإن يروا قطعًا ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ يقول جل ثناؤه: يقولوا لذلك الكسف الساقط من السماء: هذا سحاب مركوم، يعني بقوله مركوم: بعضه على بعض.

وبإسناد صحيح عن[(٢)] ابن زيد في قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴾ قال: حين سألوا الكسف قالوا: أسقط علينا كسفًا من السماء إن كنت من الصادقين، قال: يقول: لو أنا فعلنا لقالوا: سحاب مركوم.

وقال الطبري - رحمه الله -:

وإنما عني بذلك جل ثناؤه المشركين من قريش الذين سألوا رسول الله ﷺ الآيات فقالوا له: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ [الإسراء: ٩٠]... إلى قوله: ﴿عَلَيْنَا كِسَفًا ﴾ [الإسراء: ٩٢]، فقال الله لنبيه محمد ﷺ: وإن ير هؤلاء المشركون ما سألوا من الآيات، فعاينوا كسفًا من السماء ساقطًا، لم ينتقلوا عما هم عليه من التكذيب، ولقالوا: إنما هذا سحاب بعضه فوق بعض، لأن الله قد حتم عليهم أنهم لا يؤمنون.

❁❁❁

(١) الطبري (٣٢٣٩١).
(٢) الطبري (٣٢٣٩٣).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾.

ج: قال الطبري ـ رحمه الله تعالى ـ:

وقوله: ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾ يقول ـ تعالى ذكره ـ لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء المشركين حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يهلكون، وذلك عند النفخة الأولى.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ في تفسيرها:

يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ يوم القيامة، حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون، ثم بين عن ذلك اليوم أيّ يوم هو، فقال: ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾، يعني: مكرهم أنه لا يدفع عنهم من عذاب الله شيئًا، فاليوم الثاني ترجمة عن الأول.

قال صديق حسن خان في «فتح البيان»:

﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ أي: لا ينفعهم في ذلك اليوم كيدهم الذي كادوا به رسول الله ﷺ في الدنيا ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ أي: ولا يمنع عنهم العذاب النازل بهم مانع، بل هو واقع بهم لا محالة.

❁❁❁

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾؟

ج: أما قوله: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ فمن العلماء من قال: (أقل من ذلك)، ومنهم من قال: (قبل ذلك).

والمعنى: وإن لأهل الظلم قبل يوم القيامة عذابًا يعذبون به أدنى وأقل من عذاب

يوم القيامة، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١] ثم إن هذا العذاب من العلماء من قال: إن المراد به عذاب القبر، ومنهم من قال: إنه الجوع، وثَمَّ أقوال أُخر.

أخرج الطبري[1] بإسناد عن ابن زيد قال: في قوله: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ قال: دون الآخرة في هذه الدنيا ما يعذبهم به من ذهاب الأموال والأولاد، قال: فهي للمؤمنين أجر وثواب عند الله، عدا مصائبهم ومصائب هؤلاء، عجلهم الله إياها في الدنيا، وقرأ: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ﴾ [التوبة: ٥٥].. إلى آخر الآية.

❁❁❁

س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾؟

ج: قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: نعذبهم في الدنيا، ونبتليهم فيها بالمصائب، لعلهم يرجعون وينيبون، فلا يفهمون ما يُرَاد بهم، بل إذا جَلّى عنهم مما كانوا فيه، عادوا إلى أسوأ ما كانوا عليه.

❁❁❁

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾؟

ج: قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ يا محمد الذي حكم به عليك، وامض لأمره ونهيه، وبلِّغ رسالاته ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ يقول جل ثناؤه: فإنك بمرأى منا نراك ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك، فلا يصل إليك من أراد

(١) الطبري (٣٢٣٩٩).

بسوء من المشركين.

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي: اصبر على أذاهم ولا تُبالهم، فإنك بمرأى منا وتحت كلاءتنا، والله يعصمك من الناس.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي: بمرأى ومنظر منَّا نرى ونسمع ما تقول وتفعل. وقيل: بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك. والمعنى واحد. ومنه قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾ [طه:٣٩] أي: بحفظي وحراستي وقد تقدَّم.

❀❀❀

س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾؟، وما المراد بقوله تعالى: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ فمن العلماء من قال: معناه أن نقول سبحان الله وبحمده.

وقال آخرون: معناها وصل بحمد ربك، أي: صلِّ، وصلاتك هذه يحمد عليها ربك فقد صليتها بحمد ربك.

أما قوله: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ فمن العلماء من قال: حين تقوم من كل منامةٍ، وقال آخرون: حين تقوم إلى الصلاة المفروضة.

قال الطبري ـ رحمه الله ـ:

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: وصل بحمد ربك حين تقوم من منامك، وذلك نوم القائلة، وإنما عني صلاة الظهر.

وإنما قلت: هذا القول أولى القولين بالصواب، لأن الجميع مجمعون على أنَّه غير واجب أن يقال في الصلاة: سبحانك وبحمدك، وما روي عن الضحاك عند القيام إلى الصلاة، فلو كان القول كما قاله الضَّحاك لكان فرضًا أن يقال، لأن قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أمر من الله تعالى بالتسبيح، وفي إجماع الجميع على أن ذلك غير واجب الدليل الواضح على أن القول في ذلك غير الذي قاله الضحاك.

فإن قال قائل: ولعله أريد به الندب والإرشاد، قيل: لا دلالة في الآية على ذلك، ولم تقم حجة أن ذلك معنيّ به ما قاله الضحاك، فيجعل إجماع الجميع على أن التسبيح عند القيام إلى الصلاة مما خير المسلمون فيه دليلًا لنا أنه أريد به الندب والإرشاد.

وإنما قلنا: عُني به القيام من نوم القائلة، لأنه لا صلاة تجب فرضًا بعد وقت من أوقات نوم الناس المعروف إلا بعد نوم الليل، وذلك صلاة الفجر، أو بعد نوم القائلة، وذلك صلاة الظهر، فلما أمر بعد قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ بالتسبيح بعد إدبار النجوم ـ وذلك ركعتا الفجر بعد قيام الناس من نومها ليلًا ـ عُلم أن الأمر بالتسبيح بعد القيام من النوم هو أمر بالصلاة التي تجب بعد قيام من نوم القائلة على ما ذكرنا دون القيام من نوم الليل.

قال السمعاني ـ رحمه الله ـ:

وقوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: صلِّ حامدًا ربك، وعن عمر ابن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أن معناه: هو أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك.

وعن بعضهم: أنه إذا قام إلى الصلاة يقول: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا وسبحان الله بكرة وأصيلًا، فهو المراد من الآية، قاله زر بن حبيش. وقال أبو الأحوص معناه: أنه يقول: سبحانك وبحمدك إذا قام من أي مجلس كان. وعن بعضهم أنه يقول إذا قام من المجلس: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك